

مجلة الكلمة الطيبة

العدد الحادي عشر

كلمة الكلمة

مولد الصادقين

في عالم ادلهم فيه ظلام الجهل والظلم، وفي بقعة تكاثرت فيها الأصنام والأوثان حتى أصبحت رائحة الشرك تزكم الأنوف، وفي عام تتناوشه مخالب جباري الشرق والغرب كسرى وقيصر، ينبلج نور نبي سمي في السماء أحمد وفي الأرض محمد.

إنها هدية السماء إلى الأرض ولكنها أتمن ما أهدي، فأني هدية وأي عطاء تبلغ عظمته وترتقي قيمته ليكون رحمة للعالمين، وأي مولود ذاك الذي حمل رسالة سماوية تنطوي على كل ما يسعد البشرية وينتشر لها ومن وهاد الاحتطاط والتخلف، فيطير بها على جناحي العلم والأخلاق إلى سماوات علاها، وذرى مكارمها.

لله أنت يا بن عبد الله من عظيم لا يسامى ونبي فاق الأنبياء ليعتلي بشرفه كل ذي شرف ويفوق بمنزلته كل ذي منزلة، وصدق أمير الشعراء حيث قال:

وقيل كل نبي عند رتبته ويا محمد هذا العرش فاستلم

لأن الله سبحانه وتعالى من أعطاه هذه المرتبة وكما يصف شاعر آخر خلقه الكريم:

خلقت مبراً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

أست الذي بعثك الله لتضع عن الناس إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فكنت - بحق - المحرر الأول للأيدي من قيود الظلم وظلماته، والعقل من تحجر الفكر وانغلاقه، وللروح من أحوال الدنيا وأدناسها، ففتحت أمام بني البشر آفاقاً ما أرحبها وما أوسعها.

أست الذي أرسلك ربك معلماً لبني البشر، فكنت مدرسة تنشر العلم والمعرفة والحكمة بكل اتجاه ولكل طالب.

وأنت الذي اختارك ربك لتزكية النفوس وتطهيرها من كل ما يعلق بها فطهرتها بتعاليمك وبخلقك وشرعت لها سبيلاً تنفض فيه - إن هي سلكته - كل دنس ورجس.

ومن سواك يا بن عبد الله جعله الله أسوة وقدوة لما بلغته من مدارج الكمال ومراتب والارتقاء.

ولا يسعنا في يوم مولدك إلا أن نعلي أصواتنا مع الملائكة في صلواتهم عليك (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

ولم يتوقف نورك وهديك وعطاؤك عند حياتك، وإنما امتد وسيبقى ما دبّ بنو البشر على وجه هذا الكوكب، فرحلت وخلفت فينا الثقلين يمثلان سبيلي هدى وسفينتي نجاة، فهذا كتاب أنزل عليك قرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار، وتركت فينا عترة طاهرة هادية مهديّة تعبّر عنك لحماً ودماً وفكراً وروحاً وعطاءً ودوراً.

وشاء الله أن تولد مرة أخرى بمولد كوكب نير من كواكب سماء الإمامة وفي يوم مولدك، إنه يوم مبارك ذلك

الذي ولدت فيه ثم ولد فيه جعفر بن محمد الصادق (صلوات الله عليه) ليحمل رسالتك وعلمك وخلقتك.
السلام عليكم يا صادق أهل البيت - وكلهم صادق - وأنت تحمل مشعل نور لتضيء طريق جدك المصطفى بعد
أن حاول البعض إطفاء نور الله وسراج الدين بأفواههم فشمرت عن ساعدك وبذلت كل ما في وسعك فعاد ذلك
الطريق لأحباباً والنهج واضحاً والآيات شاخصة.
ولا عجب فأنتم (ذرية بعضها من بعض)، (والله أعلم حيث يجعل رسالته)، فملأت الآفاق علماً، والأجواء
عطراً بخلق نبوي وعلم إلهي، فكنت بحق امتداداً للنبوّة الخاتمة وعلماً من أعلامها وإماماً هادياً من أئمة
المسلمين.

وإن رداءً نسجه كان تسعة وعشرين حرفاً عن علاك قصيرٌ
وليس من ثناء عليكم يضاف إلى قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيراً).

وما نرجوه من إحياء ذكرى المولدين السعيدين هو أن نحيا في نفوسنا ومجتمعاتنا تلك النفحات القدسية
والسيرة النبوية والإمامية، حينما نرد منها رويّاً نتعلم منه ونجد فيه كل ما نحتاجه في علاقتنا بربنا وما يعوزنا
في سيرنا وسلوكنا، وكل ما ينير طريقنا في حياتنا المليئة بالآراء والأهواء والمذاهب والملل والنحل.
ولا بد لنا من الاقتداء بهم بالسيرة والسلوك وانتظار فرجهم المقدس على يد صاحب العصر والزمان (عجل
الله تعالى فرجه) والسير تحت لواء علماء الأمة الربانيين للعبور إلى شاطئ الأمان ورضا الله سبحانه وتعالى
وقد أكد سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) في أكثر كتبه على ضرورة الاهتمام بإحياء المناسبات الدينية
والاستفادة منها لا في الجانب التاريخي، والاحتفاء بها بل والاستفادة منها اجتماعياً وتربوياً وأخلاقياً وحتى في
الجوانب الاقتصادية والسياسية وكيفية لمّ شمل المسلمين عن طريق هذه الذكريات العطرة.

أسرة التحرير

تقويم الشهر

تقويم شهر ربيع الأول

اليوم	السنة (هـ)	المناسبة
١	٦٤ هـ	هجرة الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)
في هذه الليلة كانت هجرة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) من مكة إلى المدينة المنورة، وقد قضى الليل في غار ثور، وفي نفس الليلة فدى أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) نفسه لأخيه وابن عمه محمد (صلى الله عليه وآله) ونام في تلك الليلة في فراشه ولم يخش سيوف قبائل المشركين وقد باهى الله سبحانه وتعالى ملائكة السماء بموقف الإمام علي (عليه السلام) وأنزل في حقه: (ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله) (سورة البقرة، آية ٢٠٧) ويستحب في هذا اليوم الصيام وزيارة النبي (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين.		
٣	٦٤ هـ	إحراق الكعبة
حدث في مثل هذا اليوم حصار وهتك حرمة الكعبة وإحراق أستارها من قبل الحصين بن نمير وبأمر من يزيد بن معاوية مستخدماً الحجارة والنار عبر المنجنيق.		
٤	١٣ هـ	خروج النبي (صلى الله عليه وآله) من الغار
بقي الرسول (صلى الله عليه وآله) في الغار ثلاثة أيام هو وأبو بكر وكان الأخير خائفاً والرسول (صلى الله عليه وآله) يصبّره (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) وبعد خروج الرسول (صلى الله عليه وآله) توجه إلى المدينة وبهذا انتقل الإسلام من الدعوة إلى الدولة وصارت الهجرة عيداً وتاريخاً لدى المسلمين.		
٤	١١٨٦ هـ	وفاة صاحب الحقائق
توفي في مثل هذا اليوم العلامة الشيخ يوسف البحراني مؤلف كتاب (الحدائق النظرة) وكتاب (الدرر النجفية) و(لؤلؤة البحرين) و(الكشكول) وغيرها وقد دفن في كربلاء داخل الروضة الحسينية المباركة...		
٥	—	وفاة السيدة سكينة
وهي ابنة الإمام الحسين (عليه السلام) وأمها هي الرباب وقد حملت إلى الشام فيمن حمل من أهل الحسين (عليه السلام) ثم عادت إلى المدينة. وذكر ابن الأثير: بقيت بعد الإمام الحسين (عليه السلام) سنة لم يظلمها سقف بيت حتى ماتت. وقيل أنها أقامت على قبره سنة وعادت إلى المدينة فماتت أسفاً عليه.		
٥	—	وفاة السيدة معصومة (عليها السلام)
وهي فاطمة بنت الإمام الكاظم (عليه السلام) وقد كانت ذاهبة لزيارة أخيها الإمام الرضا (عليه السلام) وخلال سفرها مرضت وتوفيت في مدينة قم المقدسة حيث مرقدها المشهور الآن.		
٨	٢٦٠ هـ	وفاة الإمام العسكري (عليه السلام)

استشهد في مثل هذا اليوم الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) مسموماً من قبل المعتمد العباسي وقد كان الأول من هذا الشهر بداية مرضه، وقد دفن داره في البيت الذي دفن فيه أبوه (عليهما السلام) بسامراء.

٩ ٢٦٠ **بداية عصر الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)**

بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) انتقلت الإمامة إلى الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) وبدأ عصر الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه) وهو يوم عظيم وفيه سرور المؤمنين، وهو يوم فرح وتزاور ومصافحة وتوسيع في النفقة والتصدق على الفقراء ولا صيام فيه.

١٠ ١٥ هـ **زواج النبي (صلى الله عليه وآله) من خديجة**

وهو يوم زواج النبي محمد (صلى الله عليه وآله) من أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) ولها من العمر (٤٠ سنة) وكان عمر الرسول (صلى الله عليه وآله) ٢٥ سنة. وقد قال عنها الرسول (صلى الله عليه وآله) (ما قام الإسلام إلا بسيف علي ومال خديجة).

١٠ ٨ من عام الفيل **وفاة عبد المطلب**

توفي جد الرسول (صلى الله عليه وآله) في مثل هذا اليوم وكان عمر الرسول (صلى الله عليه وآله) ثمان سنوات.

١١ ١٥٣ هـ **ولادة الإمام الرضا (عليه السلام)**

في هذا اليوم على رواية في (عيون أخبار الرضا (عليه السلام)) كانت ولادة الإمام الرضا (عليه السلام) والمشهور بين العلماء هو يوم الحادي عشر من ذي القعدة.

١٢ — **ولادة الرسول (صلى الله عليه وآله)**

على قول الشيخ الكليني والمسعودي وأقا رضي القزويني فإن هذا اليوم يصادف ولادة الرسول (صلى الله عليه وآله).

١٢ — **ورود النبي (صلى الله عليه وآله) المدينة**

وقد دخل النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة مهاجراً في مثل هذا اليوم مع زوال الشمس سنة (٦١٩م) ويستحب في مثل هذا اليوم الصلاة ركعتين يقرأ في الأولى بعد الحمد سورة الكافرون وفي الثانية التوحيد ثلاثاً..

١٤ ٦٤ هـ **هلاك يزيد**

يصادف في مثل هذا اليوم موت يزيد وبرواية الصدوق، أنه مات ببلاء مفاجئ فقد مات وهو سكران. ونقل المسعودي أنه عند حفر قبر يزيد بن معاوية لم يجدوا إلا عظماً واحداً ووجدوا مع لحدّه خطأ أسوداً كأنما خط بالرماد في الطول مع لحدّه وقبره الآن مزبلة وكان عمره ٣٧ عاماً ومدة أمارته ٣ سنوات و ٩ شهور...

١٦ ٦١ هـ **وصول الأسارى إلى الشام**

يذكر في كامل البهائي، أنه يوم وصول أهل بيت الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الشام، وبين شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) ويوم ورودهم هو ثلاثمائة وستة أيام.

ليلة المعراج ١٧ —

وهي الليلة التي عرج فيها الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ومنها إلى السماء حتى بلغ سدرة المنتهى فرأى عجائب الملكوت الأعلى من الملائكة والأنبياء.

١٧ عام الفيل ولادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

بناءً على المشهور بين العلماء الإمامية فإن هذا اليوم هو يوم ولادة الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) وكانت ولادته في مكة في يوم الجمعة وقت طلوع الفجر وولد في عام الفيل وهو العام الذي جلب فيه كفار الحبشة الفيلة لهدم الكعبة، ولما ولد الرسول (صلى الله عليه وآله) رُجمت الشياطين وانقصت الكواكب، وزال كل شيء يعبد من دون الله عز وجل عن موضعه، وخمدت نار فارس ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام وحدثت أمور كثيرة . راجع وقائع الأيام للشيخ القمي. ويستحب في هذا اليوم زيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وآله) .

١٧ ٨٣ هـ ولادة الإمام الصادق (عليه السلام)

في هذا اليوم كانت ولادة الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر (عليهما السلام) وهو يوم شريف وباعث للمزيد من الفضل والشرف. وروي أنه سئل الإمام زين العابدين (عليه السلام) ... عن تسمية الإمام جعفر الصادق (بهذا الاسم أي الصادق): قال له الرجل: كيف صار اسمه الصادق وكلهم صادقون: ... فرد عليه الإمام بأنه الخامس من ولد الإمام جعفر بن محمد (عليهما السلام) الذي اسمه جعفر يدعي الإمامة اجترأ على الله وكذباً عليه فهو عند الله جعفر الكذاب المفترى على الله، والحاسد لأخيه ذلك الذي يكشف سر الله عند غيبة ولي الله ثم قال: كأي جعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله والمغيب في حفظ الله يعني صاحب الزمان.

٢٢ ٤ هـ غزوة بني النضير

في هذا اليوم من السنة الرابعة حدثت غزوة بني النضير ونزلت سورة الحشر المباركة في بيان هذه الغزوة.

٢٥ ٤٣٨ هـ وفاة العلامة السيد المرتضى

وهو العلامة السيد علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر (عليه السلام) وقد توفي في بغداد في مثل هذا اليوم وقد لقب بعلم الهدى. عن أبي حديد قال: رأى الشيخ المفيد في منامه أن فاطمة (عليها السلام) جاءت بالحسن والحسين (عليهما السلام) وقالت له: يا شيخني علم ولدي هذين الفقه ثم جاءت في الصباح فاطمة أم السيد المرتضى والرضي بهما وقالت نفس ذلك الكلام.

٢٦ ٤١ هـ صلح الإمام الحسن (عليه السلام)

وهو اليوم الذي اجبر فيه الإمام الحسن (عليه السلام) على صلح معاوية بعد أن خذله قواد جيشه... وقد اختار الصلح مجبراً حتى يحفظ دماء المسلمين....

مفاهيم إسلامية

النية.. آثارها، وكيفية العمل بها

عقيل الرماحي

لا يخفى أن لا وصول إلى السعادة الحقيقية إلا بالعلم والعبادة، فقد (هلك العاملون إلا العابدون وهلك العابدون إلا العالمون وهلك العالمون إلا الصادقون وهلك الصادقون إلا المخلصون وهلك المخلصون إلا المتقون وهلك المتقون إلا الموقنون وإن الموقنين لعلّى خطر عظيم) (بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ٢٤٥) فالعمل بدون نية عناء وتعب، والنية بغير إخلاص رياء، والإخلاص بدون صدق وتحقيق هباء، فكل عمل لا يراد به وجه الله لا صفاء فيه ولا حياة يقول الله تعالى في كتابه: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) سورة الفرقان: ٢٣، وليت شعري كيف تصح نية من لا يعرف حقيقتها؟ وكيف يخلص من لا يعرف حقيقة الإخلاص؟ وكيف نطلب من المخلص الصدق إن لم يتحقق معناه؟ فمن أراد طاعة الله أن يتعلم النية لتحصل المعرفة وتصح بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص.

ما هي النية؟

إن النية والإرادة كلمتان بمعنى واحد، وهي حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران: العلم والعمل، والعلم يتقدم لأنه شرط للعمل وأصله، ثم العمل الذي هو ثمرة العلم وأحد فروعه. وكل عمل لا يتم إلا بثلاث أمور هي: العلم، والإرادة، والقدرة. فلا يريد الإنسان ما لم يعلم، ولا يعمل ما لم يرد، وبالتالي فلا بد من الإرادة. ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى ما يراه موافقاً للغرض، أما في حالة الحاضر أو المستقبل، وقد خلق الله الإنسان بحيث توافقه بعض الأمور وتلائم غرضه وتخالفه بعض الأمور الأخرى، فهو بحاجة إلى جلب ما يلائم غرضه الموافق لنفسه، ودفع الضار وغير الملائم عن نفسه.

ومن أجل ذلك كله للإنسان من معرفة وإدراك الشيء المضر والنافع لكي يدعه أو يقدم عليه، فمن لا يدرك الحب لا يعرفه، ومن لا يعرفه لا يمكن أن يعيش لحظاته، ومن رأى الغذاء وعرف أنه موافق له فلا يقدم على تناوله ما لم يكن له ميل أو رغبة في ذلك، والمريض الذي يرى الغذاء ويعلم موافقته لميله ولا يمكنه فذلك تناوله لعدم الرغبة والميل وفقدان الدواعي المحركة إليه، ولذا فقد خلق الله في الإنسان الميل والرغبة والإرادة ونعني بها نزوع النفس للطعام وتوجهها في قلبه إليه، ولا يكفي ذلك إذا ما كان الإنسان مريضاً أو عاجزاً لا يقوى على الحركة، فقد خلق الله فيه القدرة والأعضاء التي تساعد على الحركة حتى يستطيع تناول الطعام.

فالأعضاء بحاجة إلى القدرة لكي تتحرك، والقدرة تنتظر الداعي الباعث لها، والداعي ينتظر العلم والمعرفة أو الظن والاعتقاد، وهو أن يقوى في نفسه كون الشيء موافقاً له، وإذا ما قطعت المعرفة بأن الشيء موافق له

ولا بد أن يفعل ولم تحصل معارضة من باعث آخر تصرفه عنه انطلقت الإرادة من مكنها وتحققت الرغبة ومن ثم القدرة لتحريك الأعضاء.

فالقدر في خدمة الإرادة، والإرادة تحت سيطرة الاعتقاد والمعرفة، فالنية هي الصفة المتوسطة، وهي الإرادة وانبعثت النفس بحكم الرغبة والميل إلى ما هو موافق للغرض، أما في الحالة الحاضرة أو المستقبلية.

نية المؤمن خير من عمله

ربما يظن البعض أن سبب هذا الترجيح أن النية سر لا يطلع عليه إلا الله تعالى، والعمل ظاهر وفعل السر افضل.

هذا صحيح.. ولكن ليس هو المراد لأنه لو نوى الإنسان أن يذكر الله تعالى بقلبه أو يتفكر في مصالح أبناء جلدته من المسلمين فيقتضي عموم الحديث، أي أن تكون نيته للتفكر خير من التفكر.

وقد يظن البعض أن سبب الترجيح أن النية تدوم إلى آخر العمل، والأعمال لا تدوم وهذا ضعيف، لأن ذلك يعني أن العمل الكثير خير من القليل مثلاً: أن نية أعمال الصلاة لا تدوم إلا لدقائق معدودة والأعمال تدوم ربما لساعات أو لأيام والعموم يقتضي أن تكون نية الإنسان خير من عمله.

وقد يقال: أن النية المجردة خير من العمل المجرد دون النية وهذا صحيح لكن ذلك في غاية البعد أن يكون ذلك هو مراد الحديث، فالعمل بلا نية لا خير فيه أصلاً، والنية بمجرد خيرا من العمل، وترجيح النية هنا لاشتراكهما في أصل الخير بمعنى أن كل طاعة تنتظم بنية وعمل، والنية من جملة الخيرات، والعمل كذلك، إلا أن النية من جملة الطاعات وهي خير من العمل - أي لكل منهما أثر في المقصود - وأثر النية أكثر من أثر العمل، فمعناه أن نية المؤمن من جملة طاعته خير من العمل الذي هو الآخر من جملة طاعته، والغرض أن للعبد اختياراً في النية وفي العمل فهما عملان، والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه، وقد أشار الإمام الباقر (عليه السلام) حيث كان يقول: (نية المؤمن خير من عمله، وذلك لأنه ينوي من الخير ما لا يدركه، ونية الكافر شر من عمله وذلك لأن الكافر ينوي الشر ويأمل من الشر ما لا يدركه). (علل الشرائع)

وقد سنل الإمام الصادق (عليه السلام) عن معنى الحديث فقال: (لأن العمل رياء المخلوقين، والنية خالصة لرب العالمين، فيعطي عز وجل على النية ما لا يعطي على العمل). (علل الشرائع)

وقال: (إن العبد لينوي من نهاره أن يصلي بالليل فتغلبه عينه فينام فيثبت الله له صلاته ويكتب نفسه تسبيحاً ويجعل نومه صدقة). (علل الشرائع)

إنما الأعمال بالنيات

إن الأعمال وإن انقسمت من فعل وقول وحركة وسكون وجلب نفع ودفع ضرر وفكر وذكر وغيرها مما لا يمكن إحصاؤه إلا أنها على ثلاثة أقسام، هي:

أولاً: المعاصي:

وهي لا تتغير موضوعاتها بالنية، ووحده الجاهل من يظن أن المعصية تنقلب طاعة بالنية حين يفهم من الحديث الشريف: (إنما الأعمال بالنيات).

فالذي يطعم الناس من مال حرام، أو يبني مدرسة أو مشفى أو يشيد مسجداً ويقصد في ذلك الخير، فالنية لا تخرج تلك الأموال عن كونها حراماً ومعصية فلا يُقصد الخير من بوابة الشر أبداً. ومن فعل ذلك عن دراية ومعرفة فهو المعاند، ومن فعله عن جهل فهو عاصٍ بجهله، ولا بد من العلم والمعرفة في كل عمل يُقدم عليه الإنسان.

فعن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم، فاطلبوا العلم في مظانه، واقتبسوه من أهله، فإن تعلمه الله تعالى حسنه، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد..).

وقد سئل أحدهم: هل تعرف شيئاً أشد من الجهل، قال: الجهل بالجهل، ومن لم يتسنَّ له التعلم فإن الله تعالى يقول: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) - النحل: ٤٣ - ، وقال النبي الكريم (صلى الله عليه وآله): (لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه).

ويقرب من عمل أولئك الجهال عمل الطغاة ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام، أو حين يقوم علماء السوء بتعليم السفهاء من أمثالهم أو استمالة وجوه الناس، فإن تعلم هؤلاء كانوا غداً قطاع الطريق إلى الله في بلدة ما، ولنا أن نتصور حال بلد أو مدينة نُشر فيها العلم على هذا الأساس، وليت شعري ما جواب من علم مثل أولئك السفهاء، وكيف لنا أن نرضى جواب من أعطى سلاحاً إلى قاطع طريق وأعد له خيلاً وأسباباً أخرى يستعين بها على مقصوده، ليقول بعد ذلك إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله عز وجل، فقصدت منه أن يغزو بذلك السلاح في سبيل الله فإن إعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة من أقرب القربات ثم يحتج على مدعاه بالآية الكريمة: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) - الأنفال: ٦٠ - . وإن قتل بذلك السلاح الأبرياء فهو المذنب إلا أن ذلك يعدّ جريمة مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى يقول النبي الكريم (صلى الله عليه وآله): (إن لله ثلاثمائة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة، وأحبها إليه السخاء) (أخرجه الطبراني في الأوسط عن أنس)

إذن فقولته (عليه السلام): (الأعمال بالنيات) يختص من الأقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي، حيث تنقلب الطاعة إلى معصية بالقصد وتكون طاعة بالقصد، والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد، وأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلاً، لكن النية داخلية في المعصية إذا ما أضيفت إليها المقاصد الخبيثة وعندها يتضاعف وزرها ويعظم وبالها.

ثانياً: الطاعات:

وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنية في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها، والأصل في الطاعة أن ينوي بها عبادة الله لا غير فإذا ما نوى الرياء انقلبت الطاعة إلى معصية ويمكن للطاعة الواحدة أن ينوي الإنسان بها خيرات كثيرة، فيكون بكل نية ثواب، إذ كل نية واحدة منها حسنة فتضاعف كل حسنة بعشرة أمثالها، كما جاء في الآية (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) الأنعام: ١٦٠.

ومثال ذلك الجلوس في المسجد فإنه طاعة ويمكن للإنسان أن ينوي به أكثر من نية فيسمو بعمله ذلك إلى فضائل أعمال المتقين ويبلغ به درجات المؤمنين:

أولاً: أن يعتقد أنه في بيت الله، وأن داخله زائر لله تعالى، يقول الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله):

(من دخل المسجد فقد زار الله عز وجل وحق على المزور إكرام زائره)؟؟

ثانياً: أن ينتظر الصلاة بعد الدخول والجلوس فيكون من جملة المرابطين الذين قال الله تعالى عنهم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا) آل عمران: ٢٠٠.

ثالثاً: الترهّب بكفّ السمع والبصر وسائر الأعضاء عن المعاصي وفي ذلك يقول النبي الكريم (صلى الله عليه وآله): (رهبانية أمتي القعود في المساجد)؟

رابعاً: التفكّر في خلق الله عز وجل، عن النبي الكريم (صلى الله عليه وآله): (أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون، فقال: ما لكم لا تتكلمون؟ فقالوا: نتفكّر في خلق الله عز وجل، قال: كذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها بياضها، وبياضها نورها، مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين، قالوا: يا رسول الله فأين الشيطان عنهم؟ قال: ما يدرون خلق الشيطان أم لا، قالوا: من ولد آدم؟ قال: لا يدرون خلق آدم أم لا) (الدر المنثور ١١٠/٢)

خامساً: التجرد لذكر الله أو الاستماع لذكره فقد روي: (من غدا على المسجد ليذكر الله عز وجل أو يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله).

سادساً: أن يقصد في تواجده في المسجد أن يأمر بمعروف وينهى عن منكر، فربما كان في المسجد من يسيء لصلاته فيعلمه ويرشده.

سابعاً: أن يستفيد أخاً في الله.

ثامناً: أن يترك الذنوب حياءً من الله عزم وجل من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك حرمة المسجد. يقول الإمام الحسن بن علي (عليه السلام): (من أدام الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع خصال: أخاً مستفاداً في الله، أو رحمة منزلة، أو علماً مستطرفاً، أو كلمة تدلّه على هدى أو تصرفه عن ردى، أو يترك الذنوب خشيةً أو حياءً). (قرب الإسناد)

ثالثاً: المباحات:

ما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو مجموعة نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها الدرجات العالية ومثال ذلك التطيب. فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله): (من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من جيفة). فعلى الرغم من أن استخدام الطيب مباحاً إلا أنه لا بد من وجود نية، وإذا ما قيل: ما الذي يمكن أن ينوي بالطيب؟ وكيف يتطيب لله تعالى؟

فلإجابة على ذلك نقول: أن مَنْ تطيب يوم الجمعة أو في أي وقت من الأوقات وقصد منه التفاخر أو الرياء ليكون له الجاه في قلوب الناس فيذكر بطيب الرائحة أو لكي يتودّد إلى قلوب النساء فإن كل ذلك يجعل التطيب معصية وإن قصد منه التمتع بملذات الدنيا فليس في ذلك معصية، وأما النيات الحسنة من التطيب، فهي:

أولاً: أن ينوي به اتباع سنة النبي (صلى الله عليه وآله).

ثانياً: أن ينوي به تعظيم المسجد واحترام بيت الله عز وجل فلا يرى أن يدخله زائراً لله إلا طيب الرائحة.

ثالثاً: أن يقصد منه دفع الروائح الكريهة كحالات التعرّق التي تؤذي مخالطيه والجالسين بقربه.

رابعاً: أن يقصد منه سد باب الغيبة على مغتابيه إذا ما اغتابوه بالرائحة الكريهة.

ومن كان قصده من الأكل التقوي به على العبادة كان مطيعاً في أكله. وقد روي عن زكريا (عليه السلام) أنه كان يعمل في حانط بالطين وكان أجيراً لقوم فقدموا له رغيفين إذ كان لا يأكل إلا من كسب يديه فدخل عليه قوم فلم يدعهم إلى الطعام حتى فرغ، فتعجبوا منه لما علموا منه سخاءه وزهده وظنوا أن الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال: إني أعمل لقوم بأجرة وقدموا لي رغيفين لأتقوى بهما على عملهم فلو أكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم.

إن الإنسان المؤمن ذو البصيرة والذي ينظر إلى بواطن الأمور بنور الله، عليه أن يتفقد نيته في أي عمل يقدم عليه أو يعرض عنه إذ أن النية لا تدخل تحت الاختيار وقد قيل: (إن من دعا أخاه إلى طعام بدون رغبة باطنة في إجابته، فإن أجابه فعليه وزران: النفاق، وتعريضه أخاه لما يكرهه لو علمه، وإن لم يجبه ولم يأكل فعليه وزر واحد هو النفاق).

الطريق إلى خلوص النية

إن الطريق إلى جعل النية خالصة تتم عبر تقوية الإيمان بالشرع وتقوية الإيمان بعظم ثواب الطاعات، فمن قوي إيمانه انبعثت من نفسه الرغبة إلى فعل الطاعة، ومثال ذلك: أن من لم تكن له نية الولد في الزواج بل كانت نيته فيه مجرد قضاء الرغبة الجنسية عليه أن يقوي إيمانه بعظم ثواب من سعى إلى تكثير أمة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لقوله: (تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة). ويدفع عن نفسه جميع ما تتملكه نفسه من شعور بالخوف من الفقر وتعب تربية الأولاد، فمن يفعل ذلك انبعثت في نفسه الرغبة إلى تحصيل الولد للثواب.

ولا بد للعبد من خالص النية في كل حركة وسكون فمن لم يكن كذلك كان من الغافلين الذين وصفهم الله تعالى فقال: (إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) الفرقان: ٤٤.

وصاحب خالص النية هو صاحب القلب السليم الذي قال عنه الإمام الصادق (عليه السلام): (صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم، لأن سلامة القلب من هواجس المحذورات بتخليص النية لله في الأمور كلها، قال الله عز وجل: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) - الشعراء: ٨٨ و ٨٩ - ثم النية تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة، وتختلف على حسب اختلاف الأوقات في معنى قوته وضعفه، وصاحب النية الخالصة، نفسه وهواه مقهورتان تحت سلطان تعظيم الله تعالى والحياء منه وهو من طبعه وشهوته ومنيته، نفسه في تعب والناس منه في راحة). (مصباح الشريعة: ص ١٣، باب ٤، جزء من الحديث)

كلمة أخيرة

إن النية روح الأعمال وحقيقتها، والجزاء من ثواب وعقاب إنما يكون حقيقة عليها، فمن كانت نيته خالصة لوجه الله كان جزاؤها خيراً في الدنيا وثواباً في الآخرة، ومن كانت نيته ممزوجة بأهوانه الشخصية والدنيوية كان جزاؤها شراً في الدنيا وعقاباً في الآخرة. قال الله تعالى: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) الأنعام: ٥٢.

والإرادة هنا النية لترادفهما في المعنى، وقد أوحى الله إلى داود (عليه السلام): (يا داود لا تطاول على

المريدين، ولو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضاً يمشون بها عليها، يا داود لنن تخرج مريداً من كربة هو فيها تسعده كتبك عندي حميداً، ومن كتبته حميداً لا يكون عليه وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين).

وحين قيل للنبي الكريم (صلى الله عليه وآله): إن بعض المهاجرين نوى الجهاد وليست نيته من تلك الهجرة إلا أخذ الغنائم من الأموال والسبايا أو نيل الصيت عند الاستيلاء؟ قال (صلى الله عليه وآله): (إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنياً يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله) في حديث آخر: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، وإنما ينظر إلى القلوب لأنها مظنة النية).

ولما خرج (صلى الله عليه وآله) إلى غزوة تبوك قال: (إن بالمدينة أقواماً ما قطعنا وادياً، ولا وطأنا موطئاً يغيظ الكفار، ولا أنفقنا نفقة، ولا إصابته مخمصة إلا شاركونا في ذلك وهم في المدينة، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا؟ قال: حسبهم العذر، فشاركونا بحسن النية).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله تعالى أبداً، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات هؤلاء وهؤلاء. ثم تلا قوله تعالى: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ) - النحل: ٨٥ - قال: على نيته).

(أصول الكافي: ج ٢/باب النية)

إن العمل مفتقر إلى النية ليصير خيراً، والنية في نفسها خير وإن تعدّر العمل، وعون الله للعبد على قدر نيته، فمن تمت نيته تمّ عون الله له، وإن نقصت نقص بقدره، فرب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية.

شاعر وقصيدة

السيد حيدر الحلبي

شاعر أهل البيت (عليهم السلام)

(١٢٤٦ - ١٣٠٤ هـ، ١٨٣١ - ١٨٨٦ م)

فائق محمد حسين

حيدر بن سليمان بن داود بن سليمان ينتهي نسبه إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام).

أديب وناثر وشاعر رقيق، فصيح المفردات قوي التركيب بديع الصنعة اعتبر الأفضل بين شعراء عصره، وعدّ الشاعر الثاني بعد المتنبي.

امتاز شاعرنا بتوفر فن الإعجاز في شعره، وتفرد عن معاصريه بتوسعه وطرقه لفنون الشعر بأنواعه.. وأجاد فيها.

ولد بالحلة في ١٥ شعبان ١٢٤٦ هـ وتوفي فيها يوم ٩ ربيع الأول ١٣٠٤ هـ ودفن بالنجف..

له ديوان شعر كبير أسماه (الدر اليتيم والعقد النظيم)، وكتاب (العقد المفصل في قبيلة النجد المؤنل)، و(دمية القصر في شعراء العصر)، و(الأشجان في مراثي خير إنسان) و(ديوان السيد حيدر الحلبي).

مات أبوه وهو طفل فنشأ في حجر عمه، الذي تعهده بالرعاية وأثر عطفه البالغ وحنانه في الحزن الذي عبر عنه برثاء عمه...

أظبا الردى انصلتي وهاك وريدي ذهب الزمان بعدتي وعيدي

كان (رحمه الله) شاعراً موهوباً، ولم تكن أبياته مجرد شعر ينتزعه الشاعر من مخيلته ساعة إن يشاء، كلا.. بل هو كما وصفه الجواهري:

إنه ذوب قلوب صيغ من لفظ مذاب

فلا عجب أن يشعر السيد حيدر الحلبي أنه الأجدر بالزعامة الأدبية والمتفوق على شعراء عصره:

وأنا الذي لم يسخ بي أحد إلا غدا ونديمه الندم

وإذا اهتزرت لمدح ذي كرم فأنا لسان والزمان فم

نال شعره إعجاب الجميع، وهيمن على مشاعرهم. إذ كان يأخذ بالأديب فيخلق به إلى أجواء واسعة من الفن والخيال.. كما يشغل التفكير بوصفه وحسن انسجامه وبلغ قوله ومليح نكته.. وكيف تعجب والسيد حيدر الحلبي

أمير شعراء الرثاء الذين خلدوا مع واقعة الطف خلوداً لا يطرأ عليه التلاشي ولا النسيان..(١).

قرأ الشاعر الكثير من شعر العرب وحفظ المجلدات من أخبارهم، وتتبع الفصيح من أقوالهم والمأثور من كلامهم والبديع من صناعتهم..

قال له العلامة السيد ميرزا صالح القزويني، الزعيم الديني والأديب الكبير، عند سماعه مرثية منه لبعض الأعلام: (إن رثاءك يحبب إلينا الموت) وهي الكلمة ذاتها التي قالها عضد الدولة عند سماعه مرثية أبي الحسن التهامي. قال يرثي الإمام علي (عليه السلام):

فم ناشد الإسلام عن مصابه	أصيب بالنبي أم كتابه؟!
أم أن ركب الموت عنه قد سري	بالروح محمولاً على ركابه
بل قضى نفس النبي المرتضى	وأدرج الليلة في أثوابه
مضى على اهتضامه بغصة	غص بها الدهر مدى أحقابه
عاش غريباً بينها وقد قضى	بسيف أشقاها على اغترابه
لقد أراقوا ليلة القدر دماً	دماؤها انصبين بانصبابه
تنزل الروح قوافي روحه	صاعدة شوقاً إلى ثوابه
فضج والأملاك فيها ضجة	منها اقشعر الكون في إهابه

انفرد السيد حيدر عن كثير من شعراء عصره بعدة ظواهر، منها كونه حاكم شعره في حياته! فكان لا اعتداده بنفسه لا يثبت القصيدة إلا بعد أن يقرأها المرة تلو الأخرى، وبعد الاطمئنان يعرضها على بعض من فحول الشعراء بعد منحهم حرية النقد والمناقشة، فإذا ما تم ذلك وافق على نسبتها إليه.. لذا تراه يعتني بمراثيه لآل البيت (عليهم السلام) فلا ينشرها إلا بعد مرور عام واحد عليها.. بعدها يذيعها في الأندية الأدبية، وبهذا عرفت مراثيه بـ(الحوليات) لاشتمالها على شعر رصين، مركز خال من الحشو والسفسطة..

وكتب يوماً لصديق له:

أغضّ النسيم تحمل سلامي	فحيّ برياه دار السلام
سلام محبّ غريق الوداد	غريق الفؤاد ببحر الغرام
يُميتُ بشوق بياض النهار	ويحيي بشوق سواد الظلام
وتهفو نوازع أشواقه	بلبّ حشاشته المستهام
يطالع بالفكر وجه الحبيب	فيحظى بروية بدر التمام
حبيب أروح قلبي العليل	من ذكره بنسيم المدام
وشوقي إلى درّ ألفاظه	كشوق الرياض لدرّ الغمام

إضافة إلى جودة شعره فقد تميز السيد حيدر الحلي بأسلوبه الفني، ولقد وهبه الله مقدرة أدبية واسعة فأتقن الصناعتين الشعر والنثر وأجاد فيهما إجادة المتخصص الفنان.. ومن رسالة له بعثها إلى صديقه الحاج محمد رضا كبه:

١ - ديوان السيد حيدر الحلي.. علي الخاقاني ص ٩.

نسخت ولم يحص اشتياقي ألوكة
جميع الذي قد ضمّه الكون ناسخ
لقد دان قلبي في شريعة حبكم
فليس له حتى القيامة ناسخ

سلام فتقت نور زهره صبا الحب، وأعربت أنفاس نشره عن طي سريرة الصب، ورقة ألفاظه حتى سرق
النسيم طبعه من رقتها، ونفحت برياً الإخلاص فقراته حتى استعار العبير المحض طيبه من نفحتها، وما هي
فقرات في الطروس قد وسمت، بل روح محب أذابها الشوق وفي قالب الألفاظ قد تجسّمت، فلو نشق أرواح
عرفها من غشيته سكرات الموت لصحا، ولو سرّح النظر في لؤلؤ ألفاظها ذو الطبع السليم لسحرت عقله وماس
منها مرحاً، فحقيق أن أوشح خصور عرائسها الأنيقة، بدرّ من ألفاظي التي تحتوي من المعاني على نفائسها
الدقيقة:

عرائس لفظ حكي مسكها
على الطرس أنفاس ريح الصبا
رقاق كرفة قلب المحب
وخد الحبيب بعصر الصبا
حكّت في العذوبة أخلاق من
لها أهديت وإليها صبا

وقد قال السيد حيدر الحلي يمدح الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ويهنئ السيد الميرزا
الشيرازي الكبير (قدس سره):

هي دار غيبته) فحي قبابها
والثم بأجفان العيون ترابها
بذلت لزائرها ولو كشف الغطا
لرأيت أملاك السما حجابها
ولو النجوم الزهر تملك أمرها
لهوت تقبل دهرها أعتابها
سعدت (بمنتظر القيام) ومن به
عقدت عيون رجائه أهدابها
وسمت على أم السما بموائل
وأبوك ما حوت السما أضرابها
بضرايح حجب (أباه) و(جده)
و(بغيبه) ضربت عليه حجابها
دار مقدسة وخير (أنمة)
فتح الإله بعرشه أطنابها

وهي قصيدة طويلة بخمسين بيتاً..

قال السيد علي نجل الإمام الشيرازي الكبير (قدس سره): عندما هنا السيد حيدر الحلي والذي بقصيدته
الهمزية، رأى أن يكرمه بعشرين ليرة، فاستشار ابن عمه السيد إسماعيل الشيرازي في ذلك فأبى وقال لوالدي
الإمام: ما قولك في دعبل والكميت ومنزلتهما عند الإمام الصادق (عليه السلام) فهل هما أفضل أم السيد حيدر
وهو ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟
فقال والذي: إنه لأفضل منهما.

فقال السيد إسماعيل: إذا يجب أن تكرمه بأقصى ما تشعر به من أنواع التكريم..

فلم يبق للإمام الشيرازي (قدس سره) دون أن صحب معه مائة ليرة وذهب بنفسه لزيارة الشاعر وعندما
دخل عليه تناول يد شاعرنا السيد حيدر فقبلها بعد امتناع شديد (١).

تؤكد هذه القصة عظمة السيد حيدر الحلي وعلو مكانته لأن الإمام الشيرازي (قدس سره) عرف سيرته

القاصي والداني.. فالملوك والسلاطين كانت تزوره وتخضع له احتراماً لمقامه الديني.

وله في مدح الرسول (صلى الله عليه وآله)

أيُّ بشرى كست الدنيا بهاءً	قم، فهني الأرض فيها والسماء
طبق الأرجاء منها أرج	عطرت نفحة رياه الفضاء
بعثة أعلن (جبريل) بها	قبل ذا، في الملاء الأعلى النداء
قائلاً: قد بُعث النور الذي	ليس يخشى أبد الدهر انطفاء
فهنيئاً: فتح الخير بمن	ختم الرحمن فـفيه الأنبياء

وأتى أكرم مبعوث قد اختاره الله انتجاباً واصطفاء

سيدّ الرسل جميعاً (أحمد)	من بعلياه أتى (الذكر) ثناء
(مبعث) قد ولدته ليلة	للورى ظلماؤها كانت ضياء
بوركت من ليلة في صبحها	كشف الله عن الحق الغطاء

وقال في رثاء الحسين (عليه السلام)

كم ذا تطارح في منى ورقاءها (١)	خفض عليك فليس داؤك داعها
أتظنّها وجدت لبين فانبثرت	جزعاً تبثك وجدها وعناءها
فحلبت قلبك من جفونك أدمعاً	وسمت كربعي الحيا جرعاءها (٢)
هيهات ما تبت الأراكة (٣) والجوى	نضج الزفير حشاك لا أحشاءها

وفي واقعة كربلاء يقول:

عجباً للعيون لم تغد بيضاً	لمصاب تحمر فيه الدموع
وأسى شابت الليالي عليه	وهو للحشر في القلوب رضيع
أينما طارت النفوس شعاعاً	فلطير الردى عليه وقوع
فأبى أن يعيش إلا عزيزاً	أو تجلى الكفاح وهو صريع
فتلقى الجموع فرداً ولكن	كل عضو في الروع منه جموع
زوج السيف بالنفوس ولكن	مهرها الموت والخضاب النجيع

وفي بطولة الحسين (عليه السلام) يقول:

يلقى الكتيبة مفرداً	فتفر دامية الجراح
وبهامها اعتصمت مخافة	بأسه بيض الصفاح

١ - الورقاء: الحمامة.

٢ - الحيا: المطر، الجرعاء: رملة مستوية لا تنبت.

٣ - الأراك: الشجر.

الحشاشا سمر الرماح

وتستترت منه حياء في

ومن شعره في الغزل

فجاء يحمل منها نفحة الطيب
ليثاً فأضحى لديها غير مطلوب
واستعذبت في مطال الوصل تعذبي
يكن لها في فؤادي وجد يعقوب

جاز النسيم على الغيد الرعابيب
هي الظبا بضبا الألاحظ كم صرعت
بما استحللت فتاة الحي سفك دمي
هب حسن يوسف فيها مودع أو لم

وقال معاتباً:

تبرعاً فيه وأوفى من وعد
كأن عنها طرف ذكراك رقد

يا خير من أعطى الجميل في الوري
لي عدة عندك ماذا صنعت؟

ما أنت من أعطى الجميل واسترد
يخزي أخو المجد إذا النادي انعقد

يا أصدق الناس وأوفى من وعد
أبعد بها طارية بذكرها

ركن الأسرة

الأسس التربوية للمرأة في النظام الإسلامي

إيمان محمد

مقتضيات العصر الجديد

لقد وضعت تشريعات قانون الأسرة على ضوء جملة من الأسس والمقاييس الأخلاقية التي تمّ اعتمادها لتشكل فيما بعد قانوناً ثابتاً في مجتمعاتنا الإسلامية في أبواب الزواج والفقه والرعاية، هذا من جانب ومن جانب آخر وضعت تشريعات أخرى لأبواب تطليق الزوجة بأشكالها المتعددة لإنهاء رابطة الزواج بما في ذلك الفسخ والذي كان ولا يزال الطريقة التي تستطيع بها المرأة إنهاء الرابطة الزوجية إذا رفض زوجها تطليقها. وقد أضيف إلى هذا المفهوم التقليدي مفهوم الضرر.

مع نتائج ما يترتب على الزوجة في حالة ابتعاد الزوج عن مؤهلات الحياة الزوجية عند تعاطيه الكحول والمخدرات أو ما شابه من مظاهر الانحراف، ما يشكل خطراً وضرراً في نظر الإسلام على أن يتم إثباته وكونه يعدّ خرقاً لقاعدة العلاقات المنضبطة عندئذ يصبح الفسخ مسألة لا بد منها في المحاكم الشرعية.

كما أعطى الإسلام مسألة المرأة ما لم تعطيه باقي الأديان السماوية نظراً إلى خصوصيتها التي تمثلت بجانبها التكويني والاجتماعي وكونها ركيزة رابطة بين البنوة والأبوة ومن هنا يبتدئ الحديث عن حقوق المرأة في الإسلام ومقارنتها مع ما قدمته الحضارة الغربية الساعية للتغلغل بين مجتمعاتنا بطريقة أو بأخرى لأسباب تتعلق بطبيعة ما يسعى إليه الفكر الغربي في فرض هيمنته الفكرية والاجتماعية بين الشعوب وعند محاولة إيصال فكرة ما إلى المتلقي بطرق متعددة ضمن مجال الإعلام وفروعه فإن المقارنة تختصر لنا الكثير من الجهد.

وإذا كنا نسعى بالفعل إلى وضع جزء من الحقيقة وبالأخص بالنسبة للمرأة لابد من معرفة وإدراك الشروط والأسس العملية ضمن هذا النطاق أو ذاك لأن مجتمعنا العربي الإسلامي يسعى لأن يتبنى أسس الشريعة الإسلامية بالمعنى الروحي لكلمة الإسلام. كون البعض يعيش بدوامة من الأفكار والتفسيرات الشخصية أو المبنية على أسس لا تنطبق مع الفهم الصحيح لأحكام القرآن الكريم، فيما يتعلق بضوابط مسيرة المرأة في المجتمع الإسلامي وعلاقة هذه الضوابط بالأسس أو الأحكام الشرعية.

وبعد أن أصبح واقعنا العربي اليوم وفي ضوء ظاهرة العولمة ساحة وسوقاً لترويج الأفكار الغربية والأفكار الدخيلة لطمس هوية الإسلام، ما يفرض علينا جهوداً من العمل البناء لتنظيم حركة التبليغ الإسلامي والرسالي بشكل دقيق ومركّز للإحاطة بتلك الأفكار والتصدي لها. خصوصاً وأن أصالة مجتمعاتنا تتعارض مع المفاهيم

الخاطنة والفاصلة التي يبيها الغرب.

موضوع المرأة في البحوث العصرية

من خلال البحوث والدراسات التي يقوم بها رجال الفكر والثقافة في مراكز ومكاتب الدراسات والبحوث في الدول العربية نجد أن الكثير منها يتحدث عن مشاكل المجتمعات العربية فيما يتعلق بحقوق المرأة سواء كان منها في الريف أو المدينة. دون التطرق إلى هذه الحقوق وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية وعدم التأكيد على أن مشاكل المرأة في المجتمع قد تم حلها في القرآن الكريم وسنة الرسول (صلى الله عليه وآله) ومنهج أهل البيت (عليهم السلام).

فنحن لا نمتلك من الأهلية واللياقة لوضع الحلول المناسبة لهذا مشكلات ما لم نكن مسلحين بنظرية مؤهلة لدراسة هذه الظاهرة أو تلك. والإسلام نظرية شاملة ومتكاملة يمكننا أن نستعين بها في كل الأزمان والعصور. ولدينا بعض الدراسات التي تقوم بتناول وضع المرأة العربية والمجتمع المتخلف فتضع مشكلات عديدة تدخل ضمن موضوع (القهر النسوي) ونسب بعض المشاكل: كنسبة الأمية، نسبة الطلاق، زواج الأقارب، وغلاء المهور.

ونحن بدورنا نقارن هذه الدراسات مع منهجنا الإسلامي وصولاً إلى الأسس السليمة التي ينبغي مراعاتها لبناء مجتمع متكامل.

ظاهرة الأمية ومشكلات التعليم

إذا كانت نظرنا إلى التعليم هدف وغاية وتوفرت لدينا الوسائل الكفيلة للوصول إلى هذه الغاية يمكننا أن نضمن الجانب الأكبر لحل مشكلة هذه الظاهرة التي تؤدي إلى الجهل والتخلف. حيث تشير بعض الإحصائيات إلى أن تفشي هذه الظاهرة بين صفوف النساء العربيات قد وصل بما نسبته ٧٣% لمن تجاوزت الخامسة عشر من العمر. وهناك ٣٣ مليون أمية يضاف إليهن ١٢ مليون أمية يقف تعليمهن عند حدود الإمام بالقراءة والكتابة.

مشاكل الزواج

تبين الدراسات الجارية أن ٣٥% من المتزوجات قد تزوجن في سن (١٥ - ١٩) سنة وأن ٧١% من المتزوجات ينتمين إلى الفئة العمرية (٢٠ - ٢٤) سنة. وهناك دراسة أجريت في الكويت عام ١٩٨٢ تفيد أن ٥٩% من الفئة الاجتماعية الاقتصادية العليا متزوجون من أقارب، وأن ٤٠% منهم يفضلون الزواج أيضاً من الأقارب.

كذلك تظهر دراسة أجريت في أهوار العراق في الثمانينات أن ٣٨% من الرجال متزوجون من بنات عمومته وأن ٥١% متزوجون من نساء أقاربهم وأن ٦٢% من نساء أفخاذهم. وتشير الدراسات إلى أن أول ما يمكن ملاحظته في واقع المرأة هو انعدام حريتها في اختيار شريك الحياة وأن الأسلوب الذي يتم به الزواج في المجتمع العربي يعكس إلى حد كبير طبيعة التركيب الاجتماعي والتكويني له.

فيما يتعلق بالطلاق

لدى دراسة ٢٥٠ حالة من المطلقات الأردنيات تبين أن الخطبة والزواج يتّمان بموافقة الأهل وتدبيرهم. وأن ٧٧% من أفراد عينة الدراسة وهن من المطلقات تمّ تعارفهن مع أزواجهن عن طريق الأقارب. وأن ٢٢% عرفن أزواجهن عن طريق الأصدقاء.

فيما يتعلق بالمهور

ومشكلة رابعة تتعلق بالمهور، في البلدان العربية حيث تتجاوز هذه المهور حدود الرمزية التي تشير إليها النصوص الدينية كما تقول الدراسات، وحيث تحول الزواج إلى صفقة تجارية خالصة ويظهر ذلك في ارتفاع جنوني لمهور النساء، خصوصاً في المجتمعات وفي الشرائح الاجتماعية الأكثر تقليداً. إن كثير من المفاهيم الخاطئة التي تمارس ليست نابعة من التشريع الإسلامي بقدر ما هي متأنية من المصلحة الشخصية وبالذات لرؤساء العشائر والقبائل. فالمشكلة ليست محصورة بجانب دون جانب بقدر ما هي متعلقة بالحالة الثقافية والنفسية كذلك تتعلق بالأعراف السائدة لدى مجتمعاتنا. وهي نتائج وإفرازات قديمة توارثتها الأجيال على مختلف الأزمنة التي شاع فيها اتباع منظومة الأحكام اللاشرعية.

الإسلام وأسس التربية

عندما جاء الحكم الإسلامي قرر نظاماً يستدل بآيات القرآن وأحكامه وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) وعترته بيته الطاهرين، فمثلاً قضية الأمية والتعليم وكما ورد في الحديث الشريف: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة). باعتبار أن الفريضة إن لم نتوسع في مفهومها الفقهي يكفي أن نقول عنها أنها حق وواجب مفروض على كل مسلم ومسلمة لطلب العلم.

وهنا وضع الإسلام القواعد والأسس التي ينبغي مراعاتها للوصول إلى بناء مجتمع سليم بعيداً عن بعض التأثيرات القانونية والاجتماعية التي حالت دون الوصول إلى الغاية المرجوة، فبحكم العامل السياسي والاجتماعي لبعض المجتمعات نجد الكثير من الممارسات والسلوكيات التي لم تمارس دورها وفق ما تقتضيه الأحكام ومبادئ الإسلام وفي مجالات شتى أي في الدراسة والمعمل والشارع والمجتمع بشكل عام ما جعلها تتجاوز الأعراف والقيم التي نص عليها مجتمعنا الإسلامي.

ملاحظات في موضوع التحلل الأسري

يبدو أن من أهم عوامل التفسخ والانحراف التي سادت بين أوساط مجتمعاتنا هي التحلل والجهل وفقدان التماسك الأسري لدى بعض العوائل والفهم الخاطئ للحرية بما آل إلى حالات من التأثيرات وفقدان السمة الإسلامية التي تميزت بها مجتمعاتنا الشرقية والتي أكد عليها الخطاب القرآني والمنهج الإسلامي.

فالإسلام لا يريد لمجتمعنا التسيب والتحلل الذي يحصل هذه الأيام بعنوان التحضر والأسلوب الحضاري الذي جعل البعض ينتكر أو يتخلى حتى عن لغته العربية.

هذا من جانب ومن جانب آخر مدى التأثير بالأفلام السينمائية الأجنبية والإعلام الغربي الأميركي ومحاولة الملائمة الحاصلة لدى الكثير من الفتيات والشباب على اعتبار أن القصة المعروضة أو الفلم المعروض لا يختلف عما تعانيه الفتاة مع عشيقها وبالعكس بالنسبة للشباب.

فلو استعرضنا مثلاً أحد الأفلام الأميركية هنا وهناك نجد أن ما يحصل هو عبارة عن إثارة حالات من القلق النفسي لدى الشباب بطريقة متقنة تجعل الشباب يعيش أو يمارس حالات من التأثير وباندفاع غريب وهذا ما حصل مع أحد الأفلام الأميركية الذي تم بثه ذات يوم وقد استعرض علاقة عاطفية تنشأ بين شاب وفتاة في مرحلة الدراسة الثانوية في حفلة أقيمت بمنزل الفتاة وعندما تتطور العلاقة تصل إلى حد المعاشرة غير الشرعية بينهما، إلى حد اكتشاف الأمر من قبل الأب. الذي بدوره يفشل في إقناع ابنته بعدم التصرف وأخذ حبوب منع الحمل من صيدلية المنزل. ويدور حوار بين والدتها وإحدى صديقاتها فتقول: أنت لا تستطيعين منعها لأنك كنت تفعلين الشيء ذاته في مرحلة المراهقة.

ومع ارتفاع ذروة أحداث الفيلم نشعر أن القضية التي يريدون قولها هي أن المشكلة تنشأ من وقوف الأهل ضد الأبناء في مرحلة الدراسة ليس بدافع إن كانت العلاقة الجنسية غير الشرعية هي حلال أو حرام وإنما بدافع تأثير تلك العلاقة على التحصيل العلمي لتلك الفتاة أو ذلك الفتى.

ونحن نتساءل أليست قضية حرية المرأة المدعاة في مثل هكذا ظواهر تعدّ نوعاً من أنواع الاعتداء على الكرامة البشرية للمجتمع، بعد أن أصبحت مسألة المحافظة على الشرف في تلك المجتمعات مسألة شاذة، وغير طبيعية؟

موضوع الطلاق في المجتمعات الغربية

أما ما يتعلق بقضية الطلاق وضياع العلاقة الزوجية في تلك المجتمعات فإن آخر الإحصائيات عن حالات الطلاق في بريطانيا تشير إلى أن نسبة ٤٨% من المتزوجين في بريطانيا هم فقط ممن يحتفلون في العام ١٩٩٦ بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على زواجهم. وأن ٣٧% من المتزوجين هم من يعيشون اليوم حالة الطلاق. هؤلاء تزوجوا في فترة الستينات والسبعينيات. كذلك بلغت نسبة الطلاق في بريطانيا عام ١٩٥١ ٣%، وعام ١٩٦١ ٧%، وارتفعت عام ١٩٨١ إلى ٢٣%.

قانون الطلاق على ضوء المنهج الإسلامي

فلو تأملنا في قوله (صلى الله عليه وآله): (أبغض الحلال عند الله الطلاق). هذا الحلال المبعوض عند الله تعالى متى يحق اللجوء إليه؟

أولاً: نقول إن أي مشكلة تواجه الإنسان والأسرة لا تخلو من المشاكل بين الزوج وزوجته إذ يمكن التراضي والإصلاح بينهما. فإن لم يستطيعا حلها فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) سورة النساء: ٣٥.

ولفظة الطلاق لا تكون هي النهاية الحاسمة لطبيعة العلاقة الزوجية إلى الأبد. بل هناك حالات تبقى فيها العلاقة مترابطة بشكل نصفي إلى مدة معينة تتراوح بين خمسة عشر يوماً إلى سنة كاملة. وتسمى هذه المدة (العدة) يستطيع الزوج خلالها أن يعود إلى زوجته، من دون حاجة إلى عقد جديد، وخسارة أي شيء آخر، فالإسلام لا يقرّر العدة في الطلاق إلا طمعاً في أن يعود القلبان إلى الحب. ويطفحان بالود من جديد، وتلتقي ركيبتا الأسرة مرة ثانية على منهج العطف والحنان، ويعودان إلى كيانهما الأصيل.

لكن في حالات الخيانة الزوجية مثلاً أو الإصابة بمرض عضال أو مرض جنسي أو غياب الزوج وابتعاده عن زوجته لمدة طويلة، أو حدوث الشذوذ الجنسي. هنا لابد من حالات الطلاق الذي يعني فيما يعني فض للشراكة الزوجية.

ومن هنا يؤكد السيد الإمام الشيرازي (دام ظله): أن ما نراه اليوم ليس من الإسلام إلا أن المجتمع هو الذي أنشأه بسبب تأثره بالأفكار الغربية البعيدة عن الإسلام.

المصادر

- ١ - هكذا الزواج في الإسلام. من محاضرات السيد الإمام الشيرازي (دام ظله).
- ٢ - مجلة الاجتهاد. دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة. بيروت. العددان التاسع والثلاثون والأربعون ١٩٩٨.

ركن الأسرة

الزواج بين الرؤية الإسلامية والمفهوم الغربي

علي الناصري

حث القرآن الكريم في الكثير من آياته على الزواج وأهميته في بناء وتكوين الأسرة الفاضلة نواة المجتمع الصالح والقادر على البناء الاجتماعي القائم على مبادئ الإسلام. وقد جعل الإسلام الزواج رابطة أساسية للسمو والتمسك بالقيم الأخلاقية الرفيعة. فعمل على تنظيم العلاقة بين الزوجين من حيث النكاح والعشرة والطلاق ودعا إلى العمل لنجاة الغرب عن المادية الغارقة في الظلمات التي كانت بسبب إفراط الكنيسة، كما أنه كشف المبادئ الملتوية لليهود الذين حرقوا التوراة بما آل إلى إباحة السفور والبغاء واللواط واتخاذ الأخلاء والخليات مما يؤدي إلى سقوط المرأة وخروج العائلة عن الدفء والحرارة الزوجية والأسرية فكانت النتائج وخيمة وانتشر داء العصر (الإيدز) الذي يعدّ أخطر عدوى فيروسية في تاريخ البشرية قاطبة وراح ذلك المرض يفتك بملايين الأشخاص سنوياً، بالإضافة إلى كوارث العنف والشذوذ التي تعدّ من الجرائم والأمراض الأخرى المنعكسة عن حالات الانحراف^(١).

المنهج التقويمي للرؤية الإسلامية

لقد أبدى علمائنا وفقهائنا جلّ اهتماماتهم لرسم المعاني الصحيحة والأسس التقويمية التي ينبغي مراعاتها للوصول إلى بناء أجيال مستقيمة تحمل معها رسالة الإسلام وفق معيار الرؤية الأخلاقية والقيمة الحقيقية التي تجمع بين التقويم الشامل للسلوك الإنساني النابع من تربية الضمير والعقل والعاطفة، وإعطاء الكرامة التي منحها الخالق للجنس البشري بمعناه المطلق، حقها في هذا المضمار. وقد جمعت خطابات الإمام الشيرازي (دام ظله) الخطوط الأساسية لهذا الموضوع على أساس ما تقتضيه متطلبات المفهوم الإسلامي للمرأة وشروط المجتمع الجديد بأبعاده المختلفة وفق رؤية شمولية متكاملة تستلهم عناصر قوتها من مبادئ مدرسة الإمامة الطاهرة المضاءة بالنور المحمدي وسرمدية الإسلام، لتجنّب ما آلت إليه التصورات الغربية القاصرة والنظريات الحديثة التي ابتعدت عن الجوهر الحقيقي للإسلام.

فما يثير الأمر غرابة ويزيده تعقيداً هو أن هنالك نوعان من الزواج: الزواج المسجّل لدى الدوائر المختصة والذي يضمن من خلال ذلك التسجيل حقوق الزوجة والأبناء من جميع النواحي. والزواج غير المسجّل وهو

١ - كيف يمكن نجاة الغرب، الإمام الشيرازي (دام ظله)، مركز الرسول الأعظم، بيروت - لبنان ط ١٩٩٩ -

شائع في المجتمعات الغربية والذي يؤدي في أغلب الأحيان إلى تمزق المجتمعات الأسرية وإلغاء دورها في تربية الأبناء ناهيك عن إلغاء حقوقهم عبر مسألة واحدة وهي إشباع الغريزة الجنسية بشكل حيواني مما يخرج الزواج عن إطاره الطبيعي الذي يفسد العلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة، خلافاً للقوانين الطبيعية الإسلامية التي تصاغ على أساس الفطرة وحاجاتها.

النزعة الإنسانية في الزواج الإسلامي

إن مصلحة الزواج في مجتمعاتنا قائمة على أساس الفطرة وهذا في الحقيقة يشكل استجابة صحيحة ومهذبة للنزعة الجنسية المودعة لدى الإنسان. باعتبار أن الحاجات الفطرية يجب تلبيتها وفق المقدار المعقول المتزن وضمن الإطار الذي لا يخلق الضرر بالفرد أو بالمجتمع ولا يسيء إلى عملية التوازن الاجتماعي.

إذ أن هذه الحاجة إن لم يستجب لها لكي تعبر عن نفسها بشكل صحيح سوف تنحرف وتصبح أشبه بالسيل المدمر الذي يسعى لقتل كل شيء أمامه .. كما أنها إذا لم تهذب وتقنن ستلحق أضراراً خطيرة في المجتمع لا تحمد عقباها وعلى كافة الأصعدة.

وهذا ما حصل فعلاً في نطاق المجتمعات الغربية بناءً على رؤية الكنيسة الكاثوليكية التي ترى بأن الابتعاد عن الزواج والعزوبة فضيلة وتقرب إلى الله تعالى، في الوقت الذي تنظر فيه شريعتنا المقدسة إلى أنه (لا رهبانية في الإسلام) (١).

وانطلاقاً من هذه الحقيقة فقد انبرى الإسلام لتنظيم الحاجات الغريزية الفطرية وتوجيهها الوجهة الصحيحة عبر سلسلة من القوانين والمناهج التي تسمح بإشباع تلك الحاجات من جهة، وتنظيمها وقولبتها بالشكل الذي لا تشكل فيه خطراً على المجتمع والحياة الاجتماعية من جهة أخرى.

وبعبارة أدق فإن الإسلام قد قام بعملية تهذيب الغرائز ومنها الغريزة الجنسية وتوجيهها بالصورة التي تعمل على إصلاح المجتمع وإسعاده لا تدميره، إذ قال تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) سورة الشمس: ٧-١٠.

ومن هنا يتضح بأن الإنسان يحتاج إلى منهج وقانون لتنظيم غرائزه الفطرية التي جبل عليها، لذا فقد شجّع الإسلام الزواج بشكل لا نجد له نظيراً في أية عقيدة أخرى متوخياً من ذلك إشباع الغريزة الجنسية وصيانة المجتمع وديمومة النوع الإنساني بالأسلوب النقي المهذب السليم.

علاوة على التأكيد بأنه وسيلة لإنشاء مجتمعات صالحة نافعة تنبع من الشعور العميق بالحاجة إلى أن يكمل الإنسان رجلاً أو امرأة، ذاته من خلال ارتباطه بالجنس الآخر وانطلاقاً من الفطرة التي فطر الله الناس عليها الكامنة في تكوينهم الإنساني الذي تختلط فيه الحاجة الروحية إلى الزوجية المتمثلة بالحاجة الجسدية إلى إرواء الرغبة في إطار روعي حميم (٢).

وأروع تعبير قرآني عن الرابطة الزوجية المقدسة قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا

١ - البلاد، العدد ١٧٤، أسرة ومجتمع: ص ٥٥.

٢ - إلى الوكلاء في البلاد، الإمام الشيرازي (دام ظله) ط ٢، ١٩٩٨.

لِيَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) سورة الروم: ٢١.

فالعلاقة الزوجية وفق هذه الآية الكريمة ليست علاقة شهوة عابرة تقوم على مصلحة مادية كالعلاقة الفيزيائية التي تزول بزوال المؤثر، بل ستكون علاقة حميمة ممتدة بامتداد العمر تقوم على المودة والرحمة والحب والتآلف... ولا بد أن يترك الشعور بهذا النوع من العلاقة تأثيره الكبير الواضح على نفسية الزوجين وطبيعة السلوك المشترك.

وتحول دون هدر الطاقة وضياع الوقت وتمرد الغريزة، وهذا ما يعد بدوره أساساً وأرضية صالحة لنمو عناصر الخير في النفس الإنسانية وتبلور السجايا الحميدة فضلاً عن تفجير الطاقات العملية والعلمية لدى الإنسان ودفعه باتجاه العمل الصالح وإعمار الأرض وأداء دوره كإنسان على أفضل وجه.

إننا نجد في كلمة الرحمة فهماً جديداً لطبيعة العلاقة الزوجية من جانب آخر وهو الجانب الذي يتصل بالفهم الواعي المسؤول لدى كل منهما عن الآخر من خلال ظروفه العائلية والنفسية والاجتماعية. فإذا عاش كل منهما ظروف الآخر أمكنه أن يتعامل معه على أساس تقديره لتلك الظروف ويتعايش معه من خلال محاولة الانسجام مهما أمكن مع الأجواء والمشاعر الزوجية والإنسانية فيبتعدان عند ذلك عن الأنانيات الذاتية التي يمكن أن تقود إلى تحطيم الحياة الزوجية.

وتأتي الرحمة لتبديل كل هذه المشاعر والوسائل فيتجه تفكير كل واحد من الزوجين إلى أن هناك حياة مرتبطة به وأن لهذه الحياة ظروفًا تختلف عن ظروف حياته وأن للإنسان الآخر الذي يعيش معه أجواء فكرية وروحية ونفسية تختلف عن أجوائه فيما تعامل به أو عايشه من خلال بيئة مختلفة وأسلوب في التربية مختلف عن أسلوب تربيته.

مبدأ الاستقرار الاجتماعي في الإسلام

لكي تتحول الحياة الزوجية إلى سكن يأوي إليه الزوجان ومن أجل أن يكون العيش القانم على الهدوء الروحي والعقلي بعيداً عن المشاحنات والمنازعات التي قد تؤدي إلى الدمار والانحراف، وإقراراً للجوانب الإنسانية المتكاملة التي وضع القرآن أسسها المتينة التي تؤكد على خلق الذكر والأنثى من نفس واحدة، وعلى حالة الاستقرار التي يستشعرها الرجل عند المرأة والراحة الحقيقية التي يجدها بين يدي هذا المخلوق العظيم كما في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) سورة الأعراف: ١٨٩.

علينا أن نفهم الدواعي الحقيقية التي على أساسها حث الإسلام على الزواج وشجع عليه، وجعله في مقدمة القضايا التي اهتم بها. حتى أن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قد اعتبره في أحاديث عديدة من سنته وعدّ التارك لهذه السنة ليس منه كما ورد عنه (صلى الله عليه وآله): (من تزوج أحرز نصف دينه). وما ورد عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام): (ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عز وجل من التزويج).

ليس هذا فحسب بل اعتبر الرسول (صلى الله عليه وآله) حب المرأة من أخلاق الأنبياء وذلك للحث على الزواج بالنسبة للرجل والعلاقة وطبيعة الرابطة الزوجية. أي أن تكون تلك العلاقة قائمة على الحب الذي هو أقوى الأسس التي يمكن أن يقوم عليها أي مجتمع من المجتمعات.

وبهذا يصبح الزواج رسالة مقدسة تحقق من خلالها غرائز الرجل والمرأة فيصبح الرجل كياناً قوياً وتصيح

المرأة أمّاً ومربية، وتكون العاطفة قيمة حقيقية تكفل سبل الترابط الاجتماعي الرصين لتؤدي رسالتها المتخصصة بالفيض والمحبة والعطاء(١).

١ - العدالة الإسلامية، الإمام الشيرازي (دام ظله)، مؤسسة المجتبى، بيروت - لبنان ط ٢٠١٤ هـ - ٢٠٠٠ م.

ركن الأسرة

الشباب على ضوء المنهج الإسلامي.. مشاكل ومعالجات

أوس عقيل

منهج البحث

يتناول بحثنا هذا قضيتين أساسيتين من قضايا المجتمع فيما يتعلق بأبرز شريحة فيه وهي (الشباب) أما القضية الأولى فتختص بعوامل التأثير والخلل بينما تشير الثانية إلى سبل المعالجة أما عن النتائج ومسألة الهجرة والاعتراب فقد اختصت الخاتمة بذلك.

الشباب وعوامل التأثير السلبي

لعل من أبرز المساوئ التي تنتاب المجتمع البشري وتتغلغل في جذوره الأخلاقية وقيمه الروحية جملة عوامل أهمها شهوة حب المال والدنيا، الحب والعاطفة، السيطرة على الآخرين واستصغارهم، حب الذات والوقوع تحت أضرار الغواية أو ما يطلق عليه (النرجسية)، الإدمان وتناول المخدرات.

١ - حب المال والدنيا

لا شك أن للمال سحراً أخاذاً وجاذبية يؤدي الإفراط في شهوته إلى تفشي ظاهرة الأنانية والحسد والكراهية ناهيك عن حالات الفجور والتجاوز على حرمان الآخرين وحقوقهم. ومنشأ هذا العامل هو ذلك التصور الزائف الذي ينتقل من الواقع أو البيئة حتى تقع العاطفة تلك التركيبية الانفعالية فريسة لمجموعة الانفعالات الموجودة في النفس لتنظم بدرجة من التأثير العالي فتصبح اللغة المؤثرة في السلوك هي السبب الأساس للإفساد. وتعتبر العائلة أو الأسرة النواة المهمة في توجيه تلك الانفعالات ثم يليها المدرسة ووسائل الإعلام والبرامج، وبالتالي نوع العلاقات الاجتماعية (الأصدقاء) أي الناس المحيطين ممن لهم تأثير في ذلك.

وفي بعض الحالات يصاب الشاب بهستريا البذخ وحب الظهور واستصغار الآخرين وفقدان الالتزام الأخلاقي والاجتماعي في كل مجال على مستوى الأسرة (البيت)، المدرسة، والجيران وتتفشى الحالة حتى تتعدى إلى ممارسات لعب القمار واللهو الباذخ مما يؤدي إلى انهيار الأسرة بكاملها. فقد حصل ذات يوم أن اضطرت إحدى الأسر إلى بيع دارها وكل ممتلكاتها بسبب خسارة ابنها في لعب القمار بالإضافة إلى حالات القتل والنهب وإحراق البيوت، وموت الأب بتوقف القلب بسبب تهوور ابنه الذي أدى في مقتل أحد الأشخاص أثناء قيادته لسيارة والده ولا نريد في هذا الباب إلا الإشارة إلى أبرز الظواهر السلبية التي تنخر المجتمع كما تنخر الأرضة

البناء فيتحطم عند عدم معالجته، ذلك بغية التصدي لها وإحاطتها وعلى ضوء التربية الإسلامية والمنهج الصحيح.

٢ - الحب والعاطفة

تحت هذا العنوان يطلق الشاب العنان لنفسه وشهواته وتصبح الغريزة المحرك الأساس للاندفاع والتهور على حساب الآخرين فيجتاز حدود التزاماته الأخلاقية والاجتماعية ويسعى لتجاوز كل من يقف بطريقه، ولن يردعه عن ممارسة بعض التصرفات السيئة أي رادع، فتراه يلاحق الفتيات ويتباهى أمام أصدقائه بأنه أخبرهم في هذا المجال حتى يصل الحال به اعتبار ما يفعله من المناقب التي يتميز بها.

لقد ابتدأت الشهوة الأولى بعشق سبقته نظرة ثم نظرات أعقبته حالة التأثر بالأفلام الإباحية والأغاني الباذخة التي تعرضها بعض شاشات التلفزيون ومحطات البث الغربي مما يجعل هذا النوع من الشباب واقعاً تحت تأثير مطبات الفساد والإفساد - فنراه قلقاً غير مستقر في حياته وعندما تسأله تراه يقول: (أنا شاب وأريد أن أتمتع في شبابي) أو (أريد أن أعبر عن حريتي) وبهذه الحالة يكون قد عرض نفسه إلى مشكلة إيقاع الآخرين في مهالوي الرذيلة، لقد كانت النتيجة أن تعرضت مجموعة فتيات إلى حالات الحمل والإجهاض بعد فقدانها لأهم ما تملك وهو الشرف والعفة.. وهذا ناتج عن عدم متابعة الآباء لأبنائهم ونتيجة لفقدان الوعي الثقافي والإسلامي.

٣ - الاستمناة وممارسة العادة السرية

من الحالات التي تم تسجيلها في هذا الباب هو سعي بعض الشباب إلى تعليق صور لممثلات أو مطربات أو راقصات أو عارضات أزياء في زاوية ما من زوايا غرفة نومه أو محل تواجد، والانشغال بالاستغراق والاستمناة لتلك الصورة أو تلك. بينما يسعى البعض الآخر إلى اقتناء مجلات الخلاعة أو جمع بعض الصور المثيرة واستخدامها لنفس الغرض. والنتيجة الانزواء عن الآخرين أو اللجوء إلى التدخين وممارسة العادة السرية ناهيك عما ينجم عن ذلك من مخاطر.

٤ - حب السيطرة على الآخرين واستصغارهم

وهو نتيجة الشعور بالضعف والفشل في مواطن مهمة كأن يكون الشاب فاشلاً في دراسته أو عمله وما يتلقاه في أسرته من تأنيب وعدم احترام بالإضافة إلى التأثر بأفلام العصابات والكابوي الأميركية والغربية التي تصور بأن بطل الفلم يتميز بوجاهة واحترام وخشية من قبل الآخرين ما يشده لأن يسعى لتقمص شخصيته ويحذو حذوه فيتخذ التعبير عن الشخصية منحا قائماً على تسليب الآخرين والاعتداء عليهم لإثبات تلك الذات المتهرئة والتي سرعان ما يجدها في مطبات الهلاك.

٥ - حب الذات والوقوع تحت أضرار الغواية

يتطلع الشاب في مثل هذه الحالة لأن يجد نفسه جذاباً مثمقاً بطريقة ما لكي يكون محط أنظار الفتيات، فتراه يعشق صور رجال الدعايات والمطربين أو الشباب المتميع في الغرب بفعل ما يراه ويشاهده هنا وهناك في بعض قنوات شاشات التلفزيون تارة أو ما تعرضه السينما أو الفيديو، أو المجلات تارة أخرى فيلتجأ إلى نفسه بين الحين والآخر ليراها عالقة في المرأة وتراه ينظر إلى سلسلة مناسبة يحملها في عنقه أو أسوار يضعها في معصمه أو يشارك شقيقته أو أمه في أدوات التجميل وحتى في بعض أنواع الأزياء. وبالنتيجة يصبح كقشاشة تذروها الريح ولا يمتلك إلا نفسه تلك التي أحبها وتغازل معها لينزلق باتجاه فقدان رجولته فيما بعد.

وهذه الحالة تحتاج إلى مراقبة وتوجيه مركّز من قبل الأسرة والمدرسة والمجتمع من خلال تربية الأبناء على الزي الملائم للشخصية وتعريفهم لغة نكران الذات وحب الآخرين وسيأتي شرح ذلك في باب المعالجات.

٦ - الإدمان وتناول المخدرات

يتوجه الشباب في مثل هذه الحالة بلا وعي أو دراية للتعبير عن أحد أشكال (الحرية) التي رسمها لنفسه بطريقة ما لممارسة نوع من أنواع التمتع بملذات الحياة التي أوحاها لنفسه ليضعها بديلاً عن مفهوم السعادة التي يتصورها دون غيره تلك التي تبتدئ بسيكارة مع أصدقاء السوء وتنتهي فيما بعد بالإدمان على تناول الكحول والمخدرات الأخرى خاصة عند ارتياد دور المكانات الموبوءة أو التعلق والتورط مع أشخاص منبوذين ليجد نفسه ساقطاً في مسالك الجريمة والانهيار.

وبعد هذه الإشارات السريعة والتي يمكن اعتبارها مداخل لإعداد دراسات أعمق تحتوي بين طياتها مدونات إحصائية تتوزع فيها نسب وحجم تلك التأثيرات وكيفية أسبابها ونشونها ومستويات تحققها في المجتمع بما لا تستوعبها حجم هذه الدراسة البسيطة، لا بد من تسليط الضوء على الوسائل الكفيلة بتتبع هذه الظاهرة أو تلك لغرض إرساء دعائم التقويم الصحيح مع مراعاة الطرق الكفيلة بمعالجاتها على ضوء ما يقرّه المنهج الإسلامي الذي يضمن لنا مجتمعاً سوياً بعيداً عن الانحراف ويضمن لنا شباباً واعياً مجاهداً يعي واجباته الرسالية ويعي نفسه ليصبح متصدياً ومدافعاً عن قيمه وموالياً واجباته تجاه دينه وتجاه نفسه وتجاه مجتمعه.

تري ما هي الوسائل؟

لا شك أننا قد استعرضنا ظواهر التأثيرات السلبية التي يتعرض لها الشباب في المجتمع بوجه خاص لأغراض تبيان أهمية التأثيرات الروحية الأخلاقية للمنهج الإسلامي في السلوك الصحيح ولأغراض ضمان مجتمعاً بعيداً عن الرذيلة والفساد، مجتمعاً إيمانياً تقوم أركانه على اتباع المسائل الشرعية بشكلها الصحيح فما نص عليه الكتاب والسنة والإجماع والعقل ليصبح معياراً للسلوك الصحيح الذي يتبنى إرادة الله وما جاء به رسوله (صلى الله عليه وآله) وما فسرته أهل بيت النبوة الطاهرين (عليهم السلام) ليصبح جسراً للمعبور إلى بر الأمان. وقد لاحظ علماء التربية والاجتماع بأن هنالك جملة من الوسائل الواجب اتباعها لأغراض السيطرة على الانحراف وتوجيه المجتمع بشكل سليم وهي :

١ - الوسائل الذاتية.

٢ - الوسائل العاطفية.

٣ - الوسائل الاقتصادية.

٤ - الوسائل الاجتماعية.

٥ - الوسائل العقلية.

وقبل الشروع بشرح طرق المعالجة نحتاج إلى مقدمة تعد جامعاً كلياً لما نبتغيه في مراعاتنا للمسلك الصحيح وتشكل غايتنا من البحث: كما يشير سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله): من الواجب الاهتمام بشأن الشباب من البنين والبنات اهتماماً متزايداً بإعطاء حاجاتهم وتوجيه طاقاتهم إلى حيث صلاح أنفسهم وصلاح بلادهم وصلاح مجتمعهم وذلك ليس بالشيء اليسير بل بحاجة إلى عشرات المناهج البناءة وانهقاد المؤتمرات الاستثنائية وما

إلى ذلك..).

الوسائل الذاتية

قال الإمام الصادق (عليه السلام) أقصر نفسك عما يضرها من قبل أن تفارقه واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك. وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (من لم يهذب نفسه فضحه سوء العادة) لذا ونظراً لإمكانية النصح والإرشاد بين صفوف الشباب كون قلوبهم نقية تتقبل ذلك وكون منظومة الكيان الإنساني وحدها متفاعلة لها مسارات متعددة في الواقع الاجتماعي ومدخلية هامة في كيان المجتمع بأسره فإن الواجب يفرض علينا إيجاد الطريقة الأمثل لنمو هذا الكيان وتأسيسه من خلال إقامة منظمات ومؤسسات اجتماعية وإيجاد التنافس في أمور مختلفة مثل الخطابة والكتابة وسائر النشاطات الإدارية والثقافية والإبداعية قال الله سبحانه: (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) - المطففين: ٢٦ - ، وقال (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) - البقرة: ١٤٨ - .. الخ في باب الأعمال الصالحة الدنيوية أو الأخروية، وهذا يقع على عاتق الوحدات المسؤولة عن ذلك ومن جملتها المدرسة والوحدات التنظيمية والشبابية أو وحدات الإشراف التربوية والثقافية على أساس تهيئة وإعداد النخبة الواعية التي يتضمن إيجادها تنمية النفس وجعلها قادرة على مراقبة أهوائها من خلال تعلم شروط التربية الصحيحة التي أرادها الله (في لغة القرآن المجيد)

ودراسة الأحاديث النبوية وسيرة أهل بيت النبوة (عليهم السلام) في مكارم الأخلاق وما قاله أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من كلمات ومواظ في نهج البلاغة حول تطهير الروح وتهذيب الأخلاق كفيلة بأن تنقلنا إلى مستوى رفيع من السلوك القويم بعد العمل على التدريب ومراقبة النفس والصبر على أهوائها... وأن نتعلم الصدق والوفاء من خلال تكثيف دراسة الجانب العقائدي في منهجنا الإسلامي لتتخذ مسيرتنا جانباً إيمانياً راسخاً مبنياً على الثقة والاعتزاز بهذه النفس وإمكاناتها وقدراتها وهذا يأتي من خلال الممارسة المستمرة والتمرين الشاق على تحمل الصعاب ومواجهة الآخرين بثقة واعتزاز.

الوسائل الاجتماعية

بعد أن تطرقنا لمناقشة إمكانية تطهير ذواتنا ونفوسنا من الشوائب من خلال اتباع المنهج السليم كتاب الله وعترته الطاهرة علينا أن نحمل فوق أكتافنا مسؤولية الآخرين ابتداءً من الأسرة لمواجهة هذا العالم الذي يهدد شبابنا بالانحراف - فكيف نصون علاقتنا مع الآخرين؟ - كيف نتحدث مع المجتمع؟ كيف نصبح قيادة واعية تعي مهماتها ومسؤولياتها تجاه الآخرين؟ لا شك أن أماننا تفرعاً مثمرًا من خلاله نستطيع إقامة حواراً ومنهجاً في السلوك، لقد علمنا القرآن كيف نطيع الآباء ونقدس الأمهات وكيف نتخذ من فلان صديق؟ كيف نكتشف المنافقين؟ وإشارات لا حصر لها إن لم تكن نتعلمها من مدرسة القرآن فقد علمنا إياها محمد (صلى الله عليه وآله) أو نكون قد تعلمناها من منهج أمير المؤمنين (عليه السلام) أو مدرسة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أو من مراجعنا المتأخرين والمتقدمين. إذن لم تكن إلا ورثة مدرسة عريقة في السلوك فلم لا نترجم تلك الوصايا والأحاديث لنصبح أمة واعية تعي مسؤولياتها أولاً لتدرب أجيالها المقبلة وترعاهم في بذور الخير والعطاء؟ لو أجرينا مقارنة بيننا وبين الغرب وما يتبعون لوجدنا أننا خير أمة في هذه الأرض ولوجدنا أن

مدرستنا خير مدرسة في هذا العالم، لذا فماذا يحصد الأب الذي يشجع أولاده وينمي قدراتهم العقلية والسلوكية؟ وماذا يحصد المعلم الذي يعلم تلاميذه على المبادئ السامية؟ وماذا يحصد الشاب الذي يعلم شقيقه الأصغر تعاليم الهداية والنجاة؟ وماذا يحصل لو أصبح الشاب حلقة متصلة بين أسرته ومدرسته وأصدقاء البر الذين يلتقيهم في المسجد أو في حلقة دراسية أو رابطة شبابية وماذا يحصل لو أصبح هنالك تواصلًا ومودة بين الفرد والجماعة بين الخير واتباعه..؟

الوسائل العاطفية والعقلية

العقل وتحديد الغرائز

إن الإنسان معرضٌ لامتحان الإلهي وهذا يعني أنه قد خلق قادراً على أداء هذا الامتحان وأعطى عقلاً وضميراً واعياً لمعرفة المباح من الممنوع والحلال من الحرام.

وبهذا فهو قادر على انتخاب المسلك الصحيح في تقويم مساعي نفسه الشعورية في إدارة دفة الحياة، قال سبحانه وتعالى: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْقَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) سورة الإنسان: ٢ و ٣.

فتصبح مجاهدة النفس مسألة شاقة ولكن كيف يصبح الإنسان قادراً على تحدي الغواية؟ قال سبحانه وتعالى عن الشيطان: (وَلَا تُؤْيِيهِمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) سورة الحجر: ٣٩ و ٤٠.

وكيف نصل إلى هذه الدرجة أو أقل منها لتجنب غواية الشيطان؟ وكيف نخوض معركة العقل مع تلك الغرائز الحيوانية؟ كيف نحدد ونحيط بذلك الابتلاء؟ (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) سورة الشمس: ٧-٩.

وكيف نزكي أنفسنا في هذا الباب ليصبح انشغال النفس بالعبادة والتقوى والعمل الصالح لما فيه خير هذه الأمة المسلك الذي من خلاله نستطيع الارتقاء والتخلص من شهوات النفس وتحديد تلك الغرائز وتجنب ارتكاب المعاصي والانزلاق؟ لا شك أن انشغال النفس بالعمل المثمر يعني الارتقاء بلغة العقل وتحمل المسؤولية لمواصلة الحياة من خلال التربية الحسنة والاعتزان. وإلا كيف أوجد الله سبحانه وتعالى بإرادته الحكيمة الاتزان والتعادل بين القوى المتضادة في العالم؟ وجعل نسقاً بين الكائنات المتخالفة في العالم يكمل أحدها الآخر.

وبهذا فإن الإنسان أصبح متمتعاً بجانبين أساسيين أولهما العقل وثانيهما العاطفة وهذا التركيب يحمل معه البعد النفسي والقيم الأخلاقية وعبر هذا الصراع المستمر بين الشهوة والعقل يصل الإنسان إلى مرتبة الكمال والتعالي وهو يستعين بالعقل والإرادة ليصبح حاكماً على أهوائه لا محكوماً لها... وعندما يستطيع السيطرة على أهوائه لا الخضوع لها يصبح واعياً لذاته، واعياً للآخرين وموجهاً لهم، وعندها يفرض شخصيته من خلال قدرته على امتلاك القيم المتعالية.

الوسائل الاقتصادية

(إشباع حاجات الشباب)

إن تنمية الجانب الاقتصادي لأي مجتمع من المجتمعات يعدّ من العوامل الأساسية في البناء والسيطرة على مواقع الخلل، لهذا إن من أهم ما ينبغي أن يقع علينا من دور هو الاهتمام بالشباب نظراً لنشاطهم الذي يشكل

أكثر من الثلث ولحيويتهم واندفاعهم المتزايد. ولهذا فمن الواجب إعطاؤهم حاجاتهم وتوجيه طاقاتهم إلى حيث صلاح أنفسهم وصلاح بلادهم ومجتمعهم وهذا يحتاج إلى عشرات المناهج البناءة وانعقاد المؤتمرات الاستشارية. ومن الأمور التي يجب العمل بموجبها:

١ - إعطاء رأس المال المناسب لمن يريد العمل منهم.
٢ - إعطاؤهم حاجاتهم الجسدية من الزوج أو الزوجة بالنسبة إلى البنين والبنات، دار السكنى ومحل الكسب وما أشبه ذلك.

٣ - إعطاؤهم الحاجات الصحية.
وهذه الأمور قد أكد عليها سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) في أكثر من مورد، بالإضافة إلى تأكيدات سماحته في مساعدة العوائل الفقيرة من خلال جمع التبرعات وإنشاء الصناديق الخيرية.

وسائل الهجرة والاعتراب

بعد اطلاعنا على مواطن الخلل ومواطن الإصلاح لا بد من استخلاص النموذج الحي لمنهج التربية الإسلامية الصالحة. النفس الملهمة والضمير الحي الداعي لبناء مجتمع سليم فبعد انتصار تلك النفس على رغباتها الغريزية كيف ستصبح وهي تحت تأثير الهجرة والاعتراب وفي هذه السنوات بالذات؟ وفي ظل تطبعها بذلك البرنامج التربوي الخاص كيف ستدخل هذه النفس من جديد معارك الأخطبوط الغربي وهي تمتحن قدرتها على التحدي مرة أخرى؟

لا بد لها إذن من المتابعة لكي لا تصدأ، لا بد لها أن تمارس دورها في المجتمعات الغربية لتصبح عاملاً مؤثراً ولغة فاعلة في السلوك الإنساني بشكل عام، فالإسلام منهجاً أممياً عادلاً لا يخص مجتمع دون آخر، إذن أما أن الألوان لهذه النفس أن تجتاز امتحانها الأقوى والأكثر شقاءً لمواجهة مغريات دول الغرب التي تسعى لاجتذاب الشرق وتسعى لتطمس حضارته ومعالمه عبر محيطها العام؟ عبر حياتها العامة في الشارع والأسواق وشاشات التلفزيون ومعالم التمدن الأخرى..؟

وكيف نخوض هذه المعركة ونرتقي لنصل إلى معالم التقوى والخلود؟
الجواب: عندما تمارس النفس الإنسانية دورها في الحياة كاملة عبر محطاتها الواعدة ستحقق وتعلن عن وجودها الحقيقي لا الزائف، ذلك الوجود الذي يسعى الإسلام إلى بنائه.

فنحن إذن أمام مصير ينتظر منا أن نكون الأقوى وأمام مصير ينتظر منا أن نعدّ نخبة تعي واجباتها الإسلامية أكثر من ذي قبل.. لأن المرحلة باتت أكثر خطورة وبقدر ذلك فهي تقتضي أن نكون أكثر دقة في مواصلة تربية أبنائنا على نهجنا الإسلامي لا الانسلاخ عنه، من خلال بناء المساجد وممارسة العمل الإسلامي في دول الاعتراب والمتابعة المستمرة بتأسيس حلقات أو لجان خاصة تتولى متابعة العوائل المغتربة ليبقى الاتصال دائماً عبر هذه القنوات وغيرها.

المصادر

- ١ - الأفكار والميول في علاقة الشباب والشيوخ والكهول/تأليف الأستاذ محمد تقى فلسفى/ترجمة عباس حسين الأسدي، المجلد الأول.
- ٢ - الشباب/الإمام الشيرازي (دام ظله)، مركز الرسول للتحقيق والنشر.

ركن الأسرة

الصحة النفسية للطفل

الغضب عند الأطفال... التشخيص، الوقاية، العلاج

الدكتور سعد الأمانة

التشخيص

تعرف الصحة النفسية على أنها خلو الفرد من المرض النفسي، كذلك يعرفها البعض: بأنها القدرة على العمل والجد بإخلاص وإقامة علاقات متوازنة مع الآخرين. في حين يرى بعض علماء النفس والصحة النفسية أن الشخص الذي يتمتع بالصحة النفسية، هو الذي تنخفض لديه أقل ما يمكن من الأعراض والأمراض النفسية. أما لدى الأطفال، فإنها لا تختلف كثيراً، فقدرة الطفل أن يتألف مع الآخرين ويقوم معهم بعلاقات تبادلية.. أيضاً قدرته على نقل الحب والحنان الذي تعلمه من والديه إلى أقرانه وتحويله إلى سلوك مقبول اجتماعياً. فالطفل يجد نفسه في علاقته مع الآخرين، يتفاعل معهم، ويقدم لهم، ويتأثر بهم، ويؤثرون فيه.. ففي مثل هذه الحالة، هو اختفاء حالة العزلة والانعطواء لديه.. وهو مؤشر للصحة النفسية.. فضلاً عن اختفاء حالات الانانية والغضب والسلوك اللااجتماعي، وتعد أيضاً مؤشرات للصحة النفسية. ومع النمو الجسدي والنمو العقلي المصاحب له، تقل أيضاً مظاهر أحلام اليقظة عند العبور إلى المرحلة التالية، وهي مرحلة الطفولة المتأخرة.. ولكن تظهر متطلبات أخرى لمرحلة لاحقة، هي مرحلة المراهقة، وهي لا تقل أهمية عن سابقتها، ورؤية الإمام الشيرازي (دام ظله) واضحة في هذا الصدد بقوله: اللازم تربية الطفل تربية تؤهله للمستقبل (١).

إن فقدان الأعصاب مظهر من مظاهر سوء التكيف مع بيئة الأسرة لدى الأطفال، وهو مظهر مرضي بمفاهيم الصحة النفسية، وهو مؤشر يؤدي إلى حالات الانفعال ومظاهر العصبية، ويتبعه ثورات غضب وخراب وتدمير بعض الحاجات الثمينة لدى الأسرة، أو اللجوء إلى سلوك التدرج على الأرض، ويعدّ هذا السلوك نوعاً من النوبات عاديّاً وسوياً إذا صدر عن الطفل في الثانية أو الرابعة من العمر، حيث تنفجر هذه الثورات عندما تحبط الأم ابنها ويعمل على إيذاء نفسه أكثر من إيذاها.

بعض علماء النفس قالوا: إن فقدان الأعصاب ليست حادثة عابرة، إنما هو حلقات متصلة من الحوادث. وفقدان الأعصاب يمر في عدة مراحل، تبدأ بحالات بسيطة معينة ومتميزة ولا تدعو الأهل إلى القلق، ولكن

١ - الاجتماع، ج ١، السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، بيروت (١٩٩٢) ص ٤٩، ص ٥١.

تتطور هذه الحلقات إلى ما هو أبعد من ذلك ويمكن ملاحظته بمرور الوقت على شكل نوبات من الغضب وفقدان الأعصاب كحالة أولى، وبالإمكان السيطرة على حالات نوبات الغضب الحادة بعدة طرق أو على الأقل مراقبتها. ويرى الإمام الشيرازي (دام ظله) أن العائلة يجب أن يكون محيطها بحيث يمكن تربية الأولاد تربية صحيحة رسالية، من حيث الجسم، ومن حيث العقل (١).

وبالإمكان ملاحظة ظهور ملامح الندم أو الأسف على وجه الطفل بعد اللحظات العصبية، وإن حدة العصبية يمكن أن تقل من (١٥) دقيقة إلى دقيقتين، أو دقيقة واحدة. وتمر مراحل الغضب لدى الطفل بعدة مستويات أو مراحل:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة معروفة لدى كثير من الآباء والأمهات، فالطفل قد يتذمر ويكون متوتراً ومكتئباً ويقاوم والديه. وإذا طلب منه الوالدان الهدوء، فإنه يصرخ، ومن الممكن أن يقول له والداه: أنه باستطاعته عمل التعليمات بنفسه حينما يتوقف عن الصراخ والغضب.

وفي المرحلة الثانية: يقول الطفل: اتركوني لوحدي فيصبح حزينا ولا يتكلم مع والديه، وقد يتقبل قدح من الماء، وكأن شيئاً لم يحدث.

وفي المرحلة الأخيرة: قد يشعر بالتعب والإرهاق مع احمرار الوجه.

إن الغضب شيء طبيعي وردود فعل طبيعية، فحالة فقدان الأعصاب أو نوبات الغضب قد تكون ناجمة عن إحباط من أخوته أو امتناع أحدهم عن تلبية بعض حاجاته أو من أحد المقربين له. أما السبب الآخر فهو رؤيته للأطفال الأكبر منه سناً عندما يفقدون أعصابهم ويتمّ تعلّم هذا السلوك من خلالهم.

أما السبب الثالث: فهو عدم قدرة الطفل في التعبير عن حاجاته وعما يجول بخاطرهِ فيعبر عن ذلك بالغضب الحاد وفقدان الأعصاب.

وخلاصة القول يرى الإمام الشيرازي (دام ظله) أن الأبوين المعتدلين في التربية بلا مسامحة، ولا إفراط، بدون عصبية وليونة، فهما يهيئان المناخ الملائم لنمو الطفل نمواً صحيحاً خالياً عن التعقيد والانفلات (٢).

وفي القرآن الكريم يقول الباري عز وجل: (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ... ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) سورة إبراهيم: ٢٤، ٢٥.

الوقاية

يستعرض لنا الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أدق صورة لتحليل المكونات الداخلية للنفس الإنسانية بقوله: (لا تغضبوا، ولا تغضبوا، أفشوا السلام، وأطيبوا الكلام) (٣).

وإزاء ذلك يمكننا استعراض بعض الطرق التي تقودنا إلى الوقاية من ظاهرة الغضب وحالة الانفصالات الشديدة من خلال ما يلي:

١ - المصدر نفسه.

٢ - المصدر نفسه.

٣ - تحف العقول، أبو محمد الحسن الحرائي، مطبعة شريعة، طهران (١٤٢١هـ) ص ١٤٣.

* تعلّم الغضب كنموذج

إن الأهل لا يستطيعون منع أطفالهم من الغضب أو فقدان الأعصاب بالإقناع أو كفّ هذا السلوك. طالما يعاني الآباء من هذه المشكلة، ولا يستطيعون التحكم بأعصابهم، لذا فقد اعتبر الطفل الأب نموذجاً يحتذى به في سلوكه وتعلّمه لهذه العادة عند مشاهدتها في أسرته، وهي رد فعل في معظم الأحيان.

* المتطلبات الفسيولوجية

معظم الحاجات الفسيولوجية ومتطلباتها تتمثل لدى الأطفال في حالات الجوع، العطش.. إلخ، وهي تلحّ عليهم بحيث لا يستطيع تأجيلها فتؤدي إلى سلوك الغضب وفقدان الأعصاب.. وهي تعدّ طريقاً لتحقيق هذه المتطلبات.. وبالإمكان التنبه إلى تلبية حاجات الأطفال وغيرها من الحاجات الأخرى التي تعمل على الحدّ من حالات الغضب.

* منح الطفل الحدّ الأدنى من متطلباته

على الأهل محاولة عدم إعطاء الأطفال كل ما يريدونه في الحياة من حاجات، بل عليهم التقليل من تلبية حاجاتهم وطلباتهم بالحدّ المعقول الذي يتناسب مع ما يلزمهم، ولكن بحيث لا يفقدون أعصابهم.

* المعرفة المبكرة

عندما يبدأ الطفل بالعصبية، على الأهل أن يشجّعوا طفلهم على أن يعبر عما بداخله من انفعالات، أو شحنات مكبوتة، وبالسّعة الممكنة من أجل إقناعه بعدم الاستمرار في ذلك التصرف، فيمكن سؤاله عن سبب غضبه، أو بسؤاله بشكل مباشر عما يريد أو ما الذي جعله يغضب عند ذلك، وبالإمكان الحدّ من حالة الغضب، فإذا لم يكن لدى الأهل فكرة عما يغضبه، عليهم سؤاله: هل حصل شيء في المدرسة هذا اليوم، هل أنت غضبان لأنك اختلفت مع أخيك في غرفتكما؟.. وهكذا.

* تعليم الأطفال عملية الاسترخاء وإراحة الأعصاب

على الأهل تعليم الطفل بعض العادات السلوكية التي تؤدي إلى تشتيت الانفعال.. وتؤدي إلى الاسترخاء وإراحة الأعصاب من خلال الطلب منه بأخذ النفس العميق بالتنفس.. كذلك بإعادة السيطرة على نفسه والشعور بالهدوء.

العلاج

لحد الآن لا توجد طريقة مثالية لمعالجة الحالات العصبية ونوبات الغضب الشديدة التي تنتاب الطفل إزاء مواقف الحياة اليومية، إلا أنه بالإمكان استخدام بعض الأساليب التي أثبتت فاعليتها في معالجة هذه الحالة غير الصحية. ومنها:

أ- التجاهل: من الأفضل تجاهل سلوك الغضب لدى الأطفال، ويقوم الأب بالانسحاب أثناء غضب الطفل إلى مكان آخر ولتكن غرفة النوم، أو يأخذ كتاباً أو جريدة أو مجلة يطالعها، ولا يرجع إلى نفس مكان ابنه إلى حين هدوئه. ويجب على الأهل أن لا ينسوا أن سلوك الطفل الغاضب سيؤدي أثناء غضبه إلى تكسير بعض أشياء البيت الثمينة، فما على الأهل إلا أن يبعدوه إلى مكان أمين لا يكسر الأشياء الثمينة أو يخرب فيه أي شيء أثناء

سلوكه الغاضب. وبعض الأحيان تنتاب الطفل نوبات من ضيق التنفس نتيجة لشدة غضبه، ويظهر هذا على وجهه بشكل أزرقاق، فعلى الأهل تجاهل ذلك.. فبالرغم من كل ذلك فإنه يستطيع التنفس رغم ضيقه.. ولا يتم التدخل إلا في حالة الإغماء.

ب - تعابير الغضب المناسبة:

١ - التعبير اللفظي: يمكن استخدام الغضب والتعبير عنه من خلال غضب بعضهم على الآخر أو بعضهم البعض ولكن عن طريق الكلمات.. فمثلاً: توجه الأم طفلها بأن استقبال أعداد كبيرة من الأطفال في البيت أثناء التنظيف يثير فوضى كبيرة، وبالإمكان تحديد موعد مسبق لاستقبالهم لكي يمكن التهيف لذلك الاستقبال.

٢ - الرياضة الجسدية.. وسيلة ناجحة

يمكن تخفيف حالات الغضب عن طريق النشاطات الرياضية التي تساهم بشكل كبير في تحقيق هذه الحالات.. وهناك أنواع كثيرة من الرياضة يمكن مزاومتها مثل لعب كرة القدم أو السلة أو الطائرة، أو المشي أو الركض.

٣ - عدم المبالغة في العقاب

عند حدوث حالة الغضب، حاول عزل الطفل لوحده مدة ٥ - ١٠ دقائق بدون عقاب أو ثواب، فإذا لم يستجب عند ذلك يمكن أن تطول المدة، ولا نحاول إظهار أية عواطف تجاه ذلك التصرف.

٤ - الرقابة الزائدة

معظم الأطفال صغار السن يظهرون حاجتهم لمشاركة الكبار اهتماماتهم، فعندما يغضب الطفل فإنه من السهل التوقف عن غضبه بمجرد اقتراب الكبير منه، فإنه يهدأ أو يخاف، فعلينا أن نجعل الطفل يدرك جيداً ماذا يريد، وماذا نرغب؟ وبماذا لا نرغب نحن الأهل، وذلك بأخذة معنا إلى مكان ما. وإذا غضب من أحد أفراد أسرته، نقول له: أخبر ذلك الشخص في الأسرة عن سبب غضبك دون كبته أو تجاهله.

٥ - التحدث مع النفس

على الآباء تعليم أطفالهم كيف يكلمون أنفسهم أثناء أو في بداية غضبهم كمحاولة لتهدئة أنفسهم، ومنعهم من الغضب.. مثلاً: عندما يُغضب طفل زميله، على الأب أن يعلم الطفل أن يقول حسناً إن زميلي لا يضرني أي كراهية أو عداوة أو أي شيء، وأنا أشعر بالشفقة عليه، لأنه لا يعرف أن يكلمني بشكل صحيح.. فهذه الطريقة تخفف من غضب الطفل بشكل كبير.

٦ - تعلم العبرة

علينا مناقشة أطفالنا بعد حالات الغضب، وبعد هدوئهم، ولكن بشكل إيجابي، مع الاستماع إليهم بشكل جيد وبكل دقة وحرص.

٧ - إبعاده عن المخاطر

يجب علينا إبعاد الطفل ما أمكن عن المكان الذي من الممكن أن يشكل خطراً عليه أو على غيره إلى مكان أكثر هدوءاً، وكذلك إعطاؤه كأساً من الماء البارد، أو وضع فوطة مبللة بالماء البارد على جبينه حتى تخفف عليه وتبرّده، فعندما تنتهي نوبة الغضب ويشعر بالهدوء اجعله ينام ويهدأ.

ركن الأسرة

تربية الطفل بين البيت والمدرسة

أحمد خرسان

تعتبر المدرسة المجتمع الكبير الذي يواجهه الطفل بعد مجتمعه الصغير (الأسرة).. حيث يتعرف في هذا العالم الجديد على قوانين وأنظمة جديدة عليه الالتزام بها. وانطلاقاً من ذلك فإن المدرسة هي المحك الأول للطفل وهي جواز المرور بالنسبة إليه إلى العالم الأكبر، فإذا نجح فيها وتأقلم في جوّها أمكنه النجاح والتأقلم في المجتمع الكبير، وإذا تجانس مع مجتمعه في المدرسة استطاع أن يتجانس مع وسطه الاجتماعي وأن يتماشى معه.

أما إذا فشل، فالفشل سوف يرافقه كل العمر... وبالتالي يصبح توائمه مع المجتمع أمراً عسيراً... إذ أن بذور الانحراف وعلاماته تبدأ بالظهور ضمن إطار البيئة المدرسية.. ومن هنا يبرز دور المدرسة في القضاء على بذور الانحراف في مهدها.

ومن هنا فإن دور المدرسة لم يعد يقتصر على تلقين المبادئ التعليمية فقط وإنما يلعب دور المؤثر والمنشئ والمكوّن لشخصية الطفل.. ومن هنا أيضاً تبرز أهمية اختيار المدرسة الصالحة التي تتعهد فلذات الأكباد.. وتكمل دور الأهل في تنشئة الطفل وإعداده والسير به نحو حياة أفضل.

ولا ننسى أن دور المدرسة في توجيه الطفل ودفعه لممارسة نشاطاته وهواياته وتنميتها والطفل حينما يلتقي في المدرسة بأنماط سلوكية معينة يواجه صعوبات بالغة في التأقلم مع مثل هذه الأجواء الجديدة، فإذا ما تلقته الأيدي الواعية من المربين والاختصاصيين فإنه يتكيف مع هذا الجو، وإذا أهمل الطفل، أدى ذلك إلى عقد ومشاكل نفسية له.

تعليم الطفل قبل المدرسة

اتفق علماء النفس على أن السنين الخمس الأولى تعدّ الأساس الذي تعتمد عليه شخصية الطفل بأبعاده المختلفة ولهذا يرى علماء التربية ضرورة التوجه اللازم لرعاية الطفل في هذه المرحلة وتنمية القدرات الحسية لديه. ولهذا تصبح العناية الخاصة في رياض الأطفال وفي المدارس الابتدائية السلم التعليمي الذي يمكن فصله عن السنوات التالية المقبلة من سنوات عمره بغية إتاحة المجال أمام هواياته المتعددة، حيث (إن تربية الطفل تتحسن بسبب روضة الأطفال والمدارس والجامعات حيث يواجه الأساتذة والأخصائيين الأطفال بما يرببهم تربية صحيحة وحتى الملاعب أخذت تتوجه إلى حالة تعليمية وتوجيهية مما يساعد في تربية الطفل وتنمية قدراته العقلية والعاطفية). (الاجتماع: ج ٢، الإمام الشيرازي دام ظله).

من هنا أصبح الاعتماد على ضرورة مراقبة المدارس التعليمية وتوجيهها والإشراف على عملها بغية النهوض في العملية التربوية من خلال إعداد كادر تعليمي مؤهل للاختصاص التربوي وفق ما ينطبق عليه من معايير نفسية وتربوية وبعد إجراء الاختبارات المتعددة لصلاحيته لهذا الجانب أو بعد صلاحيته كذلك إعداد مناهج وبرامج اختصاصية تربوية تضطلع بهذا الجانب.

وهذه الأمور وسواها تتطلب وقتاً وإمكانات وكفاءة عالية لتحقيق عملية التقدم التربوية الناجحة. ولا ننسى أن من بين القضايا الواجب اعتمادها في العملية التربوية هو العمل وفق منهج الأخلاق الدينية القائمة على العشرة والتعامل الذي يأمر بمحبة الآخرين والتسامح وخصوصاً في مرحلة الطفولة.

ويجب على الكبار في البداية أن يلتزموا حدوداً لا يجدر التساهل في تجاوزها بتعمد حشو أدمغة الصبية وكأنهم يستبقون الزمن في حرص على تخطي أعتاب السنوات لإحداث طفرات تؤتي أكلها شهادات مبكرة في سن النضارة وعز الفتوة وليكون الشاب مبعث فخر العائلة واعتزازها.

إنها أحلام سيكون ضررها أكثر من نفعها. ويبقى المهم في هذا الموضوع مراعاة الموازنة بين حاجات الطفل إلى تربة خصبة تعزز مقومات نموه، وتبين إمكاناته البيولوجية والنفسية والقدرات الذهنية، تلك الموازنة التي تعتبر حجر الزاوية في ضمان النمو السليم للطفل.

ويجب على الهيئات المعنية أن تسهم في إعداد دليل يُمكن الأسر من الاسترشاد به في كيفية إعداد الطفل للمدرسة وفي مساعدته بصفة عامة على أن يحقق لنفسه نمواً طبيعياً منسجماً مع سني حياته المبكرة، مع المتابعة الحازمة للأسرة بشكل دائم.

ولعلّ من شواهد الإثبات التي تؤيد حق الطفل في حياة طفولية تحترم ما جُبِلَ عليه من تحرر وانجذاب إلى الحركة - وتعتبر ما عدا ذلك خرقاً لقانون الطبيعة ومجازفة إلى الدفع به إلى التنقل من الأعباء والهرب من تبعات المسؤولية وإلى توخي مسالك عدم المبالاة وانتهاج سبل المراوغة والإهمال - ما يرويه صلاح جاهين فيما يلي وهو مقال منشور بعدد من مجلة الدوحة لسنة ١٩٧٧ إذ يقول:

(تعلمت القراءة والكتابة وعمري أربع سنين، أمي معلمة استقالت لتتفرغ لتربيتي وتعليمي، وفي شهور قليلة كنت أقرأ وأكتب وأضرب الأعداد وأقسّمها. أمي فرحت لكنها جنت عليّ وندمت بعد ذلك ندماً مرّاً. كان عمري أربع سنين لكنني أحمل فوق عنقي دماغاً كبيراً كأنه دماغ رجل وهذا ما أضرب بي إذ أن حقنة التعليم المبكر ظهرت أعراضها السيئة وأنا في نهاية المرحلة الثانوية. فجأة مللت الدراسة، ما قيمة الدروس وقد تعلمتها قبل الألوان؟ وبدأت (أزوغ) قفزاً فوق أسوار المدرسة لأجلس في أي مكان وأرسم وألعب.

هذا درس قد يستفيد منه غيري: لا تعلم طفلك مبكراً وقبل سن الدراسة الطبيعة، إنه قد يتفوق في سنوات البداية ثم يخفق في النهاية).

إن التعليم المبكر مثل الحبوب المنشطة التي تعطى لخيول السباق وبعدها يجيء الإنهاك. ثمة إشارة إلى دور المحيط الاجتماعي في تحديد قدرات الموهوب يمكن الاستفادة منها في هذا المجال. لقد عمل علماء النفس كل ما بوسعهم للتوصل إلى الأسباب التي تؤدي بالموهوب إلى الوصول إلى درجة العبقرية وكان من أهم النقاط هو التأكيد على القابليات الكامنة للطفل الموهوب ووضعها في خدمة المجتمعات ورفعها بدلاً من هدرها.

سوء علاقة الطفل بالمدرسة وتأثيراتها

إن اضطراب علاقة الطفل بالمدرسة تؤدي إلى نشأة مشكلات الطفولة لديه، ففسوة المدرّس - أو المدرّسة - وتحقيره للطفل وإهانته أو إهماله ومقارنته غير العادلة بين التلاميذ أو تفضيل تلميذ على آخر يجعل الطفل يشعر بعدم الثقة في نفسه وفي المدرسة، ويشعر بعدم التقبّل، فيفشل في إشباع حاجته للأمن والحب والتقدير والاستحسان والتفوّق ويشعر بالإحباط.

كما يؤثّر المدرس على الطفل في المواقف الاختبارية التي تعتبر من أهم المواقف التي يواجهها الطفل في المدرسة، لأن فيها يحكم المدرس على أدائه حسناً أو سيئاً. وفشله في الحصول على استحسان مدرسه ورضاه عن أدائه، يشعره بعدم الكفاءة والعجز والدونية ويضعف مكانته الاجتماعية في الفصل خاصة إذا أصدر المدرس حكمه على التلميذ بالسوء وعدم الفلاح في الدراسة على مسمع من زملائه في الفصل، حيث أن هذا الحكم القاسي من المدرس يؤلم الطفل ويثير فيه مشاعر العداوة نحو المدرس، لكنه يكبت هذه المشاعر ويظهر بدلاً منها القلق والانتكالية والشعور بالزيف وهي مشاعر مؤلمة تؤدي إلى سوء توافقه في الفصل وتضعف تحصيله الدراسي وتزيد كراهيته للدراسة.

ولا يرجع ضعف الطفل في التحصيل في هذه الحالة إلى نقص في ذكائه بقدر ما يرجع إلى سوء علاقته بمدرسه وشعوره بالخوف من تكرار فشله وانشغاله بهذا الخوف عن الإجابة على أسئلة الاختبارات. وقد دلّت الدراسات على أن التلاميذ أصحاب المشكلات في المدرسة بطينو التعلم يعانون من مشاكل سلوكية أخرى مثل العدوانية والانسحابية والكذب والسرقة والتدخين واضطراب النوم وصعوبات النطق، وترجع هذه المشكلات إلى أنهم غير سعداء بحياتهم المدرسية بسبب ما يتعرضون له من إحباط في المواقف المدرسية مما قد يجعلهم يهربون من المدرسة ويظهرون الانحرافات السلوكية. فالخبرات القاصرة في المدرسة تساهم في نشأة المشكلات عند التلاميذ أو تساهم في تنمية المشكلات التي نشأت من الخبرات الأسرية القاصرة.

دور الأهل

ليس للطفل موقف مسبق عن المدرسة رفضاً أو حباً، وإنما موقفه يتشكل من خلال ما يسمعه وما يشاهده، وتلك هي مسؤولية الأهل في إعداد له لدخوله في السن المحددة. في هذه المرحلة يبدأ موقف الطفل بالتشكل، وخبراته عن المدرسة وأجوائها وعالمها بالتراكم، ولو نجحت العملية التربوية في الصفوف التمهيديّة الأولى في إعداد له للتعاطي مع من حوله، ولاستيعاب ما يُعلم، لأمكن تجاوز المشكلة وتلافي حدوثها أصلاً.

لكن ماذا لو حدث العكس؟ وبدأت بوادر سوء فهم وتفاهم مع المحيط الجديد تتشكل في وعي الطفل - التلميذ الجديد - إما بسبب رغبة أمه في (قذفه) إلى عالم المدرسة والتخلص من مشاغبته في البيت، وهذا ما يفهم من أسلوب بعض الأهل، وإما بسبب عدم اهتمام معلمته بشكل كافٍ به، لسبب أو لآخر، خاصة إذا كنا أمام طفل مرهف الإحساس. يحتاج إلى من يفهم مزاجه ويتقن التعامل معه، وقد يكون لدى الطفل مشكلة في نظره أو سمعه أو نطقه، مما يستدعي اللطف والتركيز في معاملته، وقد لا يكون الطفل لطيفاً أو جذاباً، بحيث لا يحظى بعناية واهتمام معلمته، هذه الأسباب والظروف أو بعضها قد تجعل الطفل مهملاً، أو لا تتيح له مجالاً للتفاعل مع

الآخرين، ولإظهار ما لديه من طاقات، فتبرز لديه ميول الانطواء واللامبالاة والشرود الذهني والاستخفاف بالدروس.

وهكذا فإن الموقف من المدرسة لدى الطفل يتدرج ويتصاعد من المنزل وصولاً إلى أولى أيامه المدرسية، وأول الأشخاص الذين يتعامل معهم ويشكلون مجتمعه الجديد.

لكن هذا لا يعني ولا يستبعد إمكانية أن يكون لدى الطفل مشكلة جسيمة وهو في المنزل قبل دخوله المدرسة، في سماعه أو نظره أو نطقه، مما قد يكون سبباً لتشكيل اضطراب نفسي لديه، خاصة فيما لو لم تلحظ الأم أو الأب الدقة في العناية به ومعالجته، فيذهب إلى المدرسة مضطرباً، غير قادر على تحمل فضول رفاقه أو غضب المعلمة.

وهناك أسباب تربوية، فالقمع المستمر للطفل في حركاته، والتأنيب والقسوة في معاملته، قد يفقده الثقة بنفسه، ويجعله قلقاً، كما أن مكوث الطفل أمام جهاز التلفاز وقتاً طويلاً ومشاهدته لبرامجه بدون رقابة الأهل، قد يطبع في ذهنه صوراً مقلقة تبعث فيه شروراً ذهنياً، عدا التبلد العقلي الذي يصيبه جرّاء ذلك.

وهكذا، فإن الأم قد تجد جملة من الأسباب والخلفيات لإعراض طفلها عن الدراسة والتعلم، واتخاذ موقفاً صارماً متشدداً إزاء المدرسة، وما عليها إلا أن تتحلى بالصبر والحكمة، وتبحث عن أصل المشكلة بالتحديد، وتسعى لحلحلتها وزحزحة طفلها عن موقفه بعلاج الخلل فيه، في جسده أو نفسيته أو في أسلوب المعلمين ربما، أو في أسلوب الأم نفسه، وفي كل الأحوال ينبغي أن لا يتفاقم الموقف بين الطفل والأهل ليصل إلى حد ضربه ومعاقبته كأسلوب لحمله على إنجاز واجباته المدرسية.

كلمة أخيرة

إن تعريف القوانين الأخلاقية بالتوجيهات والأوامر الإلهية تعدّ من الشروط الواجب مراعاتها ضمن سياق العملية التربوية حيث أن من واجب المدرسة تعليم الطالب حسن التصرف في نعم الله باستعمالها فيما خلقت من أجله وتعريفه بأن للنفس الإنسانية كرامة عظيمة ينبغي إحيائها بالضمير والخلق الحسن.

وهذه القوانين هي ليست بعيدة عن المناهج التربوية المخصصة للطالب أصلاً ضمن حقول دراسته المتعارف عليها، حيث أن اطلاعاً بسيطاً على مناهج التربية الإسلامية المقررة للنشر في مدارسنا العربية يجعلنا على ثقة أكيدة بأن هنالك إمكانيات واسعة لإنشاء مجتمع طفولي متعلم قادر على استيعاب معركة الحياة.. وقادر على المواجهة الفعلية التي تحاك ضد مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

لقد أكد علماء الأخلاق على تدريب وتربية الضمير الإنساني من خلال الأحكام الشرعية والأخلاقية الواجب اتباعها عبر تعلم الكيفية التي نبحث من خلالها على ما يجب عمله من الأعمال الخيرة الحكيمة.

المصادر

- ١ - الطبيعية البشرية والسلوك الإنساني. تأليف جون ديوي. ترجمة وتقديم: محمد لبيب.
- ٢ - دراسات في التربية وعلم النفس. تأليف الدكتور فاخر عاقل. دار الرائد العربي. بيروت - لبنان.

شبهات وردود

الجمع بين الصلاتين

نزار مصطفى

يشنع البعض على الشيعة متهماً جمعهم بين الصلاتين (صلاة الظهر والعصر، وصلاة المغرب والعشاء). ويعدون هذا العمل خروجاً عن السنة النبوية المطهرة.

ومع أن الشيعة الإمامية الاثني عشرية، يجمعون بين الصلاتين إلا أن البعض منهم يرى أن التفريق أفضل فيما البعض الآخر يرى أن الجمع بين الصلاتين هو الأفضل (١) وكتبهم الفقهية تشتهر بذلك. إن حالة الجمع بين الصلاتين سُنّت لرفع الحرج عن المسلمين، رافة بأهل الأشغال والحوائج وهم أكثر الناس، حيث يؤدي الانشغال بها إلى ترك الصلاة أما غفلة أو نسياناً أو تساهلاً، نتيجة الإجهاد الفضلي والفكري فالأولى الجمع بين الصلاتين كي لا يذهب عليهم ثواب الصلاة.

س ١: أيها الشيعة لِمَ تجمعون بين الصلاتين؟

ج ١: من المعلوم أن هناك موارد كثيرة يجمع المسلمون فيها الصلاة بلا خلاف بينهم، كجواز الجمع بعرفة والمزدلفة، وكذلك الجمع بين الصلاتين في السفر.

وكذلك لا خلاف أيضاً في الجمع بين الصلاتين لعذر، كالمرض والمطر والثلج كما صرح به فقهاء أهل السنة وعلى اختلاف فيما بينهم، والذي ثبت عند الشيعة أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد جمع بين الصلاتين من دون سفر، ومن دون بقية الأعذار الأخرى، وسئل عن ذلك فقال (صلى الله عليه وآله) كي لا أخرج أمتي. فصح بذلك جواز الجمع بين الفريضتين.

س ٢: وما هي تلك الروايات والأحاديث التي أثبتت ذلك؟

ج ٢: ثبت ذلك بالأحاديث التي وردت عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وإليك بعضاً منها.

١- ما رواه زرارة عن أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): قال صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالناس الظهر والعصر حين زالت الشمس في جماعة من غير علة، وصلى بهم المغرب والعشاء الآخرة قبل سقوط الشفق من غير علة في جماعة، وإنما فعل ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليتسع الوقت على

١ - راجع نشرة أجوبة المسائل الشرعية المطابقة لفتاوى المرجع الديني الأعلى الإمام الشيرازي (دام ظله) حول الجمع بين الصلاتين.

أُمته. (١)

٢- ما رواه إسحاق بن عمار بن أبي عبد الله الإمام الصادق (عليه السلام): قال أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلى الظهر والعصر في مكان واحد. يعني لم يفرّق بينهما من غير علة ولا سبب.

فقال له عمر وكان أجراً القوم عليه: أحدث في الصلاة شيء. قال: لا، ولكن أردت أن أوسع على أمتي. (٢)

٣- وما رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: جمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين الظهر والعصر

من غير خوف ولا سفر، فقال: أراد أن لا يخرج أحداً من أُمته. (٣)

س٣: أرجو إيراد ما جاء في كتب السنة من الروايات المؤيدة لذلك.

ج٣: الروايات الواردة في جواز الجمع بين الصلاتين كثيرة واليك بعضاً منها.

١- عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الظهر والعصر جميعاً

والمغرب والعشاء جميعاً في غير توسيع ولا سفر. (٤)

٢- عن سعيد بن جبيرة حدثنا ابن عباس: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) جمع بين الصلاة في سفرة

سافرها في غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء.

قال سعيد: فقلت لأبن عباس ما حمله على ذلك؟

قال: أراد أن لا يخرج أُمته. (٥)

٣- عن أبي الشعثاء جابر بن زيد عن ابن عباس قال (صليت مع النبي ثمانياً جميعاً، وسبعاً جميعاً، قال

عمرو بن دينار: قلت يا أبا الشعثاء أظنه أخر الظهر وعجل العصر، وأخر المغرب وعجل العشاء؟ قال: وأنا

أظن ذلك. (٦)

٤- عن جابر بن زيد عن ابن عباس: أن النبي (صلى الله عليه وآله) صلى بالمدينة سبعاً وثمانية الظهر

والعصر، والمغرب والعشاء. فقال: أيوب: لعله في ليلة مطيرة، قال: عسى. (٧)

أقول: إن قول أبي الشعثاء، وقول عمرو بن دينار (أظن) هو ظن مقابل اليقين، فالعبادة لا تقام بالظنانيات

وإنما باليقينيات، وكذلك قول أيوب (عسى) أي أظن. وقد قال الله تعالى (إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً) (٨).

فهذه الروايات جاءت صريحة في جواز الجمع بين الصلاتين، وهذا ما صرح به بعض فقهاء السنة. كالإمام بن

القيم الجوزية (بتعنوان الجمع بين الصلاتين: ما يفيد أن ذلك ثابت في السنة الصحيحة المحكمة... ثم يورد شيئاً

١ - وسائل الشيعة، باب ٧، ج ٣، أبواب المواقيت.

٢ - المصدر السابق، باب ٣١، ج ٣، ص ١٦١، أبواب المواقيت.

٣ - المصدر السابق، ج ٣، ص ١٦١، أبواب المواقيت.

٤ - صحيح مسلم، ج ١، ص ٣٨٤، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر.

٥ - مصنف ابن أبي شيبة، ج ٢، ص ٢٤٤ وصحيح مسلم، ج ١، ص ٢٨٤.

٦ - مسند احمد بن حنبل، ج ١، ص ٢٢١.

٧ - صحيح مسلم، ج ١، ص ٢٨٥ - صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٣٤، كتاب مواقيت الصلاة.

٨ - سورة يونس، الآية ٣٦.

مما تقدم من الروايات ويعقب عليه بقوله - إنَّ كل هذه السنن في غاية الصحة والصراحة ولا معارض لها، وإن رَدَّت بأنها أخبار آحاد، فالجواب بأن الجميع من عند الله فالذي حدّد مواقيت الصلاة هو الذي شرّع الجمع بين الصلاتين بقوله وفعله فلا يؤخذ ببعض السنة ويترك بعضها (١).

وقد أورد هذا، الدكتور الشرباصي الأستاذ في الأزهر الشريف في كتابه يسألونك في الدين والحياة. وعقبه بقوله (وقد ورد في السنة الصحيحة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) جمع بين الصلاتين في غير سفر ولا مطر. وقد سئل راوي الحديث ماذا أراد بهذا؟ فقال (أراد أن لا يخرج أمته) وهذا من تيسير الله على عباده الذي جعل الدين يسراً لا عسر فيه) (٢). والحق أن جواز الجمع بين الصلاتين صريح في القرآن الكريم، كما هو صريح في السنة النبوية.

س٤: كيف نستدل على مشروعية الجمع بين الصلاتين من القرآن الكريم؟

ج٤: قوله تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) (٣).

فهذه الآية الكريمة تبين أن وقات الصلاة ثلاث، وهي الفجر لصلاة الصبح، ووقت دلوك الشمس وهو وقت زوالها لصلاتي الظهر والعصر، وغسق الليل لصلاتي المغرب والعشاء.

وقد فسر الفخر الرازي هذه الآية ما نصه (فإن فسرنا الغسق بظهور أول الظلمة كان عبارة عن أول المغرب. وعلى هذا التقدير يكون المذكور في الآية ثلاث أوقات، وقت الزوال ووقت أول المغرب ووقت الفجر. وهذا يقتضي أن يكون الزوال وقتاً للظهر والعصر، فيكون هذا الوقت مشتركاً بين هاتين الصلاتين وأن يكون أول المغرب وقتاً للمغرب والعشاء فيكون هذا الوقت مشتركاً أيضاً بين الصلاتين المغرب والعشاء. فهذا يقتضي جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقاً.

إلا أنه دلّ الدليل على أن الجمع في الحضر من غير عذر لا يجوز، فوجب أن يكون الجمع في السفر وعذر المطر وغيره) (٤).

وكما ترى أن الرازي اعترف بدلالة الآية وصراحتها على جواز الجمع مطلقاً إلا أنه تشبّث بما روى مخالفاً لكتاب الله وهذا لسببين:

أولاً: أن ما يخالف الكتاب ليس حجة إنما يؤخذ بالسنة فيما إذا لم تعارض كتاب الله.

ثانياً: إن السنة الشريفة أيضاً ناطقة بصريح القول بجواز الجمع مطلقاً كما تبين من الأحاديث المتقدمة.

وقال البغوي: (حمل الدلوك على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به ولأنّ إذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر، وغسق الليل يتناول المغرب والعشاء

١ - كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين. ج٣، الجمع بين الصلاتين.

٢ - كتاب يسألونك في الدين والحياة، ج٦، ص٤٩-٥٠.

٣ - سورة الإسراء، الآية ٧٨.

٤ - التفسير الكبير للرازي، ج٢١، ص٢٧.

وَقَرَّآنَ الْفَجْرِ هُوَ صَلَاةُ الْفَجْرِ (١).
فعلى هذا تكون هذه الآية إشارة إلى أوقات الصلاة الخمس.

١ - معالم التنزيل بهامش تفسير الخازن، ج٤، ص ١٤١.

من أعلام الشيعة

الشيخ مرتضى الأنصاري

نزار مصطفى

هو الشيخ الأجل أستاذ الفقهاء والمحدثين، وزعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف، مرتضى بن محمد الأنصاري يرجع نسبه إلى جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي المعروف. ولد الشيخ الأنصاري في مدينة دزفول وهي إحدى المدن الإيرانية القريبة من الحدود العراقية سنة ١٢١٤ هجرية. انتهت إليه المرجعية الدينية بعد وفاة المرجع الكبير الشيخ محمد حسن صاحب كتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) سنة ١٢٦٦ هجرية. توفي في الثامن من جمادي الآخرة سنة ١٢٨١ هـ، ودفن في مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) على يمين الخارج من الباب القبلي.

نبذة عن حياته

نشأ الشيخ الأنصاري في بيئة صالحة تملك كل مقومات التربية الرشيدة. حفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره في مسقط رأسه، حيث تولى تعليمه والده الشيخ محمد أمين الأنصاري، الذي كان من علماء الشيعة في وقته. توفي والده بمرض الطاعون، عام ١٢٤٨ هـ خارج مدينة دزفول. أما والدته فهي بنت العلامة الجليل الشيخ يعقوب الأنصاري وكانت من النساء العابدات الصالحات. قيل: أنها بلغت من الورع وصلابة الإيمان مقاماً كانت تؤثر الانصياع للشرع الحنيف في كل بادرة من بوادر حياتها. وكانت تقول: أنها لم ترضع ابنها الشيخ طيلة إرضاعها له إلا وهي متطهرة. بعد أن حفظ الشيخ القرآن الكريم، أخذ في تعلم القراءة والكتابة، ثم توجه للدراسة العليا في اللغة العربية من النحو والصرف والبلاغة والعروض، بالإضافة إلى العلوم العقلية من المنطق والكلام. ثم شرع في دراسة الفقه والأصول ولم يبلغ آنذاك العشرين من العمر. وكان جلّ دروسه من هذين العلمين على يد عمّه الفقيه الشيخ حسين الأنصاري، الذي كان من أعلام أسرته ومن أفاضل بلدته. ثم أكمل دراسته العليا في كربلاء والنجف وأصفهان حتى انتهت إليه الزعامة الدينية.

أسفاره

كان الشيخ مرتضى الأنصاري كثير السفر لطلب العلم ولقاء العلماء، لعل أحدهم يحقق قصده ويشفي غليله لبلوغ المراتب العليا في الفقه والأصول.

سافر مع والده لزيارة المشاهد المقدسة في العراق، فورد كربلاء وكانت الرياسة العلمية فيها لكل من السيد محمد المجاهد، وشريف العلماء.

طلب السيد محمد المجاهد من والده أن يتركه في كربلاء للتحصيل العملي، على أثر محاوره جرت بينه وبين الشيخ التي ظهرت فيها ألمعيته.

فبقي مدة أربع سنوات يدرس عند هذين الأستاذين، ثم ترك كربلاء متوجهاً إلى الكاظمية مع بقية العلماء بعد اضطرام نار الفتنة في كربلاء أثناء ولاية داود باشا. ومن ثم رجع من هناك إلى بلدته دزفول.

وبعد أن استقر به المقام في دزفول لمدة سنتين مشغولاً بالتدريس والتحقيق سافر إلى كربلاء مجدداً ومكث فيها سنة كاملة، ثم عزم على زيارة مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام)، بعد ذلك حضر درس الفقيه الشيخ موسى كاشف الغطاء، وأقام سنة كاملة هناك ثم رجع إلى مسقط رأسه في دزفول.

لم يكتف الشيخ الأنصاري بما استفاده من بحوثه الفقهية والأصولية في كربلاء والنجف الأشرف، فأراد الاطلاع على الحركة العلمية في إيران، وأن يجتمع مع رجالات العلم الذين اشتهروا فيها. فقرّر الشيخ زيارة المشهد الرضوي الشريف مصطحباً معه أخاه الشيخ منصور. ونزلا عند زعيم حوزتها العلمية الشيخ البروجردي مدة شهر.

ثم قصدا أصفهان وبقياً بها مدة شهر، وقد نزلا ضيفين عند السيد محمد باقر الشفطي الملقب بـ(حجة الإسلام الرشتي).

ثم خرجا قاصدين مدينة كاشان وكانت الغاية من هذه السفرة الاطلاع على علمية الشيخ (المولى النراقي) الذي اشتهر بألمعيته في الأوساط الشيعية. وجد الشيخ ضالته عند المولى النراقي فبقي في كاشان أربعة أعوام مستفيداً من نعيم منهل أستاذة.

كان المولى النراقي لا يملّ من مذاكرة الشيخ الأنصاري ومباحثته، وحكي عنه أنه قال: لقيت خمسين مجتهداً لم يكن أحدهم مثل الشيخ مرتضى.

ثم خرج الشيخ إلى خراسان حيث أقام عدة شهور قرب المشهد الرضوي الشريف ولم تذكر المصادر أنه درس عند أحد علمائها.

ثم عاد إلى بلدته دزفول ماراً بطهران وذلك في سنة ١٢٤٤هـ، بقي في دزفول مكباً على البحث والتدريس، فغادرها سنة ١٢٤٩هـ إلى النجف الأشرف، أيام رياسة الشيخ علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء. والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر زعيمي الحوزة العلمية.

حضر الشيخ الأنصاري دروس الشيخ كاشف الغطاء مدة خمس أعوام من سنة ١٢٤٩هـ إلى سنة ١٢٥٤هـ وهي سنة وفاة الشيخ علي كاشف الغطاء، ثم استقل بالتدريس والبحث في النجف الأشرف إلى أن آلت إليه المرجعية بعد وفاة الشيخ محمد حسن سنة ١٢٦٦هـ.

تلامذته

كانت مدرسة الشيخ الأنصاري تعجّ بالمئات من طلبة العلوم الدينية، وقد جاوز عددهم الألف طالب، ونال مرتبة الاجتهاد منهم خمسمائة مجتهد. وبعضهم نال المرجعية الدينية، وزعامة الحوزة العلمية. ومن هؤلاء:

- ١- السيد المجدد الشيرازي. الذي تولى المرجعية بعد الشيخ الأنصاري وله موقف خاص حول تحریم (التنباك، التبغ) بعد إعطاء امتيازاته من قبل سلطات ذلك الوقت، والقضية مشهورة.
- ٢- الشيخ جعفر بن الملا حسين التستري. كان فقيهاً عظيماً، ومحدثاً جليلاً وخطيباً بارعاً. ولد في مدينة تستر، وبعد وفاة الشيخ الأنصاري استقل بالتدريس والتأليف.
- ٣- المحقق المدقق الشيخ ميرزا حبيب الله الرشتي. كانت ولادته في قرية رانكوي من قرى كيلان التابعة لمحافظة (جيلان أي رشت) سنة ١٢٣٤هـ بلغ الشيخ الرشتي، مرتبة رفيعة في الاجتهاد. وله مؤلفات ثمينة نافعة. منها: بدایع الأفكار في علم الأصول، ورسالة في الغصب، في الفقه.
- ٤- الفقيه والمرجع الديني والسيد حسين الكوه كمری التبريزي. ولد السيد حسين في قرية (كوه كمر) من قرى تبريز. لازم الشيخ الأنصاري في أواخر حياته. وبعد وفاة الشيخ رجع أهالي آذربيجان ومن يتكلم باللغة التركية في أمر التقليد إلى هذا السيد الجليل فنال حظاً وافراً من المرجعية الدينية.
- ٥- الشيخ المحقق المدقق (المولى محمد كاظم الخراساني). ولد في خراسان سنة ١٢٥٥هـ، في مدينة خراسان، درس عند الشيخ الأنصاري مدة أربع سنوات، له مواقف سياسية مشهورة تجاه السلطة القاجارية ومواقف أخرى تجاه الأطماع الروسية في البلاد الإسلامية. من أهم مصنفاته كتابه (كفاية الأصول) الذي يدرس إلى الآن في الحوزات العلمية. توفي الشيخ الخراساني بالسكتة القلبية في صبيحة يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي الحجة (يوم الغدير) سنة ١٣٢٩هـ ودفن في مقبرته الخاصة في صحن مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) على يسار الداخل من باب السوق الكبير جنب زميله (المحقق الرشتي).

تصانيفه

- للشيخ الأنصاري مؤلفات عديدة في علمي الفقه والأصول وكان لا يحب إخراج شيء من تصانيفه إلا بعد التنقيح وإعادة النظر فيها مراراً ومن أهم مصنفاته:
- ١- كتاب المكاسب. ٢- كتاب الطهارة. ٣- كتاب الرسائل. ٤- كتاب الصوم والزكاة والخمس على جهة البسط والتحقيق.
- لقد حازت مصنفات الشيخ الأنصاري على إعجاب تلامذته وبالأخص كتابي المكاسب والرسائل، وعدّوه من أعظم المصنفات. وعلّق على كتابيه مشاهير العلماء بعده، فمن علّق على الرسائل الميرزا موسى التبريزي، والميرزا حسن الأشثاني، والشيخ حسن المامقاني، والشيخ ملا كاظم الخراساني، والشيخ آغا رضا الهمداني وكل حواشيهم مشهورة مطبوعة، وممن علّق على كتاب المكاسب السيد كاظم اليزدي، والشيخ آغا رضا، والشيخ التبريزي.

زهدہ

عاش الشيخ الأنصاري عيشة الفقراء المعدومين، رغم الأموال الطائلة التي كانت تجلب إليه من شتى أصقاع المعمورة، حيث كان ينفقها على المحتاجين من الإمامية في السر خصوصاً، غير مريد للظهور والمباهاة بجميع ذلك، حتى لم يبق لوارثه ما له ذكر قط. وقيل كانت الحقوق الشرعية والهدايا الثمينة تأتي للشيخ وهو يضعها

في زاوية من زوايا البيت مطروحة فيها.

وكان طالب الدين أو المحتاج يأتي عند الشيخ فيأخذ من هذه الأموال المطروحة مقدار ما يقضي حاجته. حكى أن أحد مقلديه والمتفانين فيه أهدى له عباءة شتوية ثمينة وحيدة في نوعها. وكانت قيمتها ذلك اليوم تعادل ثلاثين ديناراً عراقياً.

ثم جاء في اليوم الثاني للصلاة خلف الشيخ فوجده لابساً العباءة القديمة، فسأل الشيخ عن العباءة فقال: بعته واشتريت بثمانها عدداً من العباءات. قال: كانت اثنتي عشر ووزعتها على المستحقين الذين لا يملكون عباءة شتوية في هذا الشتاء.

فقال التاجر: يا مولاي إن العباءة كانت لك وجنت بها إليك لتلبسها شخصك الكريم، لا لتبيعها وتشتري بثمانها عدداً من العباءات وتفرّقها على مستحقيها.

فقال الشيخ: إن ضميري لا يقبل بذلك.

ومرة أخرى أهدى له رجل محسن أموالاً ليشتري بها داراً. فاشتري أرضاً وبنائها مسجداً، سمي فيما بعد بمسجد الترك.

فقال له صاحب المال: يا مولاي قدّمت المبلغ لشراء الدار، لا لبناء مسجد. فقال الشيخ: وأية دار أحسن من هذا المكان المقدس الذي يُعبد فيه الله عز وجل ويقدّس. ونحن عما قليل نمضي ونترك بما فيها والدار ثم تنتقل للآخرين.

هكذا عاش الشيخ الأنصاري لم يشغل باله بزخارف الدنيا. ولم يغتر بإقبال الناس وتهافتهم عليه. عاش معدماً، وخلف بنتين توفيتا بعده بمدة يسيرة.

المصادر

١ - أعيان الشيعة السيد محمد الأمين.

٢ - موجز عن حياة الشيخ الأنصاري، السيد محمد كلانتر.

من قاموس الإمام الشيرازي

التنظيم الإسلامي الشامل... وضرورات المرحلة الراهنة في حياة الأمة

ابو أحمد البغدادي

تمهيد

حينما يصوب المرء نظره إلى نواحي السماء وأفاقها، وما اشتملت عليه من نجوم وأجرام ومجرات، معجبة في أحوالها وأوضاعها، مدهشة في خلقها على نظام ودوام يقضي معه الناظر المتأمل العجب، العجب، ووقتما يُعمل فكره ويشغل عقله، من غير كدٍّ، فيما حوله من الطبيعة والكون المادي اللانهائي، ويتفكر - ولو قليلاً - في عالم النبات بأصنافه البحرية والبرية، ابتداءً بالبذرة المتناهية في الصغر، وانتهاءً بالأشجار العملاقة، إذ ذاك تتبدى له بوضوح تام، إحدى الحقائق الكونية الكبرى التي تنظم وتطبع جميع العوالم والأكوان - من غير استثناء - والتي تتمثل بتنظيم شامل ودقيق متصل الحلقات، ومحكمها، ومستمر بلا فترة أو توقف على جميع الأشياء، دلّ عليه من قريب، قول الله تبارك وتعالى: (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) (الحجر / ٢١) وبالنسبة للمؤمن فمطلبه تحت جناحه؛ إذ ليس عسيراً عليه أن يتأمل لوح الآيات الواضحات، في جسمه ونفسه، حتى يدرك حقيقة النظام الدقيق المستوعب لجميع كيانه من سائر جهاته، مما يمنحه عبرة كافية بأن كل أشياء الحياة، أنما تحكمها موازين وأنظمة، أوجدها خالق حكيم وعليم ومدبر، علمه فوق كل ذي علم، وتدبيره استعلاء على كل مدبر، وحكمته سبحانه اقتضت أن تدور جميع الأكوان والعوالم والأشياء في مدارها الخاص بها، وأن تستن بسننه وتحتكم إلى أحكامه وقوانينه، في مسيرها وارسانها، بإطلاقية تامة عامة على دورة الزمن والتاريخ.

وهكذا فكلما أبعد المرء في تفكيره، وأنعم النظر، دلّته حقائق الكون الكبرى على أن هذا النظم هو ظاهرة كونية، شملت أدق دقائق عالم الطبيعة، والحياة المادية والمعنوية، وجميع عناصرها، بشتى (تجلياتها) وهو من تخطيط مخطّط، وإبداع مبدع السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة.

والى ذلك فلقد دلّ الدليل من الكتاب الحكيم والسنة المطهرة، على أن هذا الانتظام هو من مظاهر الخلق الكبرى، ومن مظاهر الإعجاز والإبداع، مما يعني - من جملة ما يعنيه - أن عظمة الله سبحانه وتعالى لا تتجلى في مجرد إيجاد الأشياء من العدم، بل بخلقها وإيجادها على هذه الشاكلة العجيبة من التوازن والنظام، هذا النظام الذي أضفى صورة جميلة مبهرة على العالم..

وجدير بالإشارة أن الفوضى، وغياب الضوابط والقواعد، لا يصلح الإنسان والمجتمعات، ولا شيء من العوالم المادية، أبداً، فالحكمة تقتضي، والعقل يأمر. وكذلك المسيرة الطبيعية لبني البشر، بأن لكل شيء حدوداً

وقواعد إذا غابت، تساوى وجود ذلك الشيء مع عدمه، أي يضحى وجوده بلا غاية، ويصبح عبثاً وعبثاً ليس غير، مما يمكن أن نستخلص منه حكماً كلياً مؤداه أن كل وجود لا نظم له، لا دوام ولا بقاء له آتيين، وقصاراه أنه يأكل بعضه بعضاً، ثم لا يلبث أن يتهاوى ويسقط، وهذا من الواضحات التي لا تحتاج إلى توضيح، ولا معنى لبسط الكلام فيه..

التنظيم واجب شرعي وسنة كونية

إن التنظيم واجب شرعي وسنة كونية، وضرورة حيوية ملحة بالنسبة لأية أمة. فهو - أولاً - واجب شرعي، بدليل قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): (الله الله في نظم أمركم). وهو - ثانياً - سنة كونية.. فقد قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: (.. من كل شيء موزون) (الحجر/ ١٩).

فقطرات المطر - مثلاً - منظمة وموزونة، وكذلك الأشجار، الحيوانات، الرمال، الأنجم، وسائر الكائنات الأخرى.

وأما بالنسبة للإنسان، فقد جعل الله سبحانه الجانب الجسدي منه خاضعاً للتنظيم الكوني العام؛ فالقلب والرئة والكبد والكلية وسائر أجهزته تعمل بانتظام واتساق.. وإن طرأ أي اختلال على إحدى هذه الأجهزة يعني المرض أو الموت! هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد جعل الله سبحانه تنظيم الجوانب العملية والاجتماعية والسلوكية للإنسان، بيد الإنسان نفسه، فعليه ألا يشذ عن القوانين التي تحكم الكون، لأنه عند ذاك سيصاب بالانهيار والدمار.

والتنظيم - ثالثاً - ضرورة حيوية، ومصدر قوة، وقد قال الله تبارك وتعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (الأنفال/ ٦٠).

فإذا لم ننظم أنفسنا في تنظيم واسع وكبير، فسيعترينا الضعف، وستتخطفنا الأمم، ويطمع بنا الأعداء، ويتغلبوا علينا، وحسبنا ما اعترانا من ضعف وهزال، ولحقنا من تخلف بفعل الأحقاب الاستعمارية، بسبب غياب اللحمة والوحدة، وتفرقنا أيادٍ وطرائق قدا..

وبحسبنا أن نستعرض واقع بلاد المسلمين المترامية - تعدادهم يتجاوز المليار نسمة - لنعلم أنها في حال ضيقة، غلبها على أمرها تشتتها وتقاطعها مع ذاتها وهويتها؛ حيث لم تزل تعاني من ألوان من الاستعمار المباشر وغير المباشر، المعلن والخفي، أو - في أحسن حالاتها - نلحظ أغلب بقاعها تعاني من نير التبعية للرأسمالية العالمية..

وهكذا فبدون التنظيم لن نستطيع مواجهة التحديات المعاصرة، ولن نتمكن من الوقوف أمام الشرق والغرب، وأذنا بهما.

والعالم المعاصر - كما هو معهود - يعتمد على التنظيم بكافة أشكاله، فقد أحصت بعض التقارير خمسة ملايين عنصر منظم للصهاينة في العالم، وللصين الشيوعية أكثر من عشرين مليون منظم. وللدول الأوروبية التسع - مع أمريكا - خمسين مليون منظم.. سواء في التنظيمات القومية أو الحزبية أو الثقافية أو غيرها..

فهل يمكن العيش - في مثل هذا الجو المشحون بالتنظيمات - بلا تنظيم؟! أم ستستمر هذه الأوضاع التي

تعيشها الأمة، ويتواصل ما نرى من التصدع والتبعثر والانحيار؟! في الحقيقة، أن لنا عبرة كبيرة في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث كان يخضع كل شؤونه للتنظيم الدقيق.

فمثلاً: في حرب (بدر) كان المسلمون زهاء الثلاثمائة، والكفار زهاء الألف مقاتل مدججين بالسلاح، أما المسلمون فكانوا شبه عزّل.. فبحيال ذلك لم يكتف الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بامتلاك المسلمين للإيمان القلبي، بل راح يجهد في تنظيمهم النظام الذي يساعدهم على مواجهة القوة العسكرية للمشركين.. فقد ذكر المؤرخون أن النبي (صلى الله عليه وآله) جعل كل مائة من أصحابه على شكل دائرة بحيث تكون ظهور بعضهم إلى بعض ووجوههم إلى الخارج.. وعندما بدأ المشركون هجومهم على المسلمين، لم يتمكنوا من الاحاطة بهم، وجعلوا يتبعثرون حول هذه الحلقات الكبيرة من المسلمين.

وبهذا التنظيم - مضافاً إلى عنصر الإيمان الراسخ - استطاع الرسول (صلى الله عليه وآله) وصحبه تحقيق النصر على الكفار الذين ما كانوا يمتلكون التنظيم.

على أن مناط النجاح في إيجاد التنظيم المطلوب لكسر المعادلات السلبية التي تخنق حياة الأمة، والذي يندرج في باب (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة). هو أن يبدأ كل فرد بالعمل في إطار مسؤوليته اللازمة في هذا الشأن، وذلك إما بالانتماء إلى إحدى التنظيمات المستقيمة التي لا نعدمها في البلاد الإسلامية، وإما أن يبدأ تنظيمًا جديدًا بنفسه، بأن يلتقي نفرًا صالحاً، يغذيهم بالفكر السليم، وينظمهم، ثم يبدأ كل واحد من هؤلاء، بعد استيعابهم للفكر ومسؤوليات التنظيم ولوازمه، بتنظيم آخرين... وهكذا دواليك، ليتصاعد التنظيم على نحو هندسي، لا عددي، حتى يبلغ - من بعد - الألوف والملايين. () ولا تفوتنا ضرورة أن يتجاوز التنظيم حدود بلاد المسلمين، ليستوعب البلاد الأجنبية أيضاً، إذ لا بد وأن يتوافر من بين مواطني تلك البلدان، من ضاقوا ذرعاً بظروف الكبت والإرهاب والضغط المختلفة، حتى صاروا يتطلعون إلى من ينقذهم من براثن هذه الظروف، وأضحوا ينظرون في كل كوة، تخلصاً من حالة الاختناق والتداعي في ظلمات حضارة الآلة الصناعية الغربية.. وقد أرانا التاريخ الإسلامي، كيف كان الكفار يستقبلون المسلمين ويحتضنونهم، لأنهم كانوا يجدون الإسلام هو المخلص الوحيد لهم من حكوماتهم الجائرة.

وفي هذه الشعبة من الموضوع، لابد أن نشير إلى قانون (المؤلفة قلوبهم) الذي سيكون عاملاً مساعداً على إنجاح هذا العمل.. فقد ذكر جمع من الفقهاء بأن هذا القانون يشمل صنفين من الناس:

الأول: ضعاف الإيمان (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون) (التوبة/ ٥٨). وهؤلاء يُعطون شيئاً من المال، لأجل أن يشتدّ دينهم، وتثبت أركان الإيمان في قلوبهم.

الثاني: الكفار الذين يراد استمالتهم إلى الإسلام، بأن يُعطوا شيئاً من الزكاة أو غيرها، من بيت المال، ليكونوا عوناً للمسلمين لإقامة حكم الإسلام.

وهكذا فعبر تعاضد هذه العوامل مجتمعة (الكبت الذي يعانيه الكفار، الحريات والمعاني السامية المتوفرة في الإسلام، قانون (المؤلفة قلوبهم)) يرجى لهذا العمل الكبير النجاح، وبسط سيادة الإسلام وعلوّ شأنه..

الحركات الإسلامية والتحدي المشترك

ومما يجدر ذكره أن كثرة التحديات، وخطورة الأوضاع، وتعقد ظروف الحياة وشروطها، تستثير دافئ

العقول، وتستحث الأنفس، للخلاص من هذه المنهكات واطراحها، وتلمس فسحة التفكير في ما يوجب انطلاقها وبلوغها حالة الاطمئنان بركن وثيق، نريد أن نقول أنها تدخل وضع الصطرار مع ما تتنازعها من عوامل ومتغيرات الأوضاع الراهنة التي يسودها الاضطراب والتبدل والتوثب نحو غاية غير واضحة في الغالب، نقول أن حالة التلاطم التي تغلب على معظم أحوال الأمم، رغم ما توجبه من توهان الفكر لدى الإنسان المعاصر، واهتزاز أركانه، إلا أنها تبعث الكثيرين على تحريك الذات وإعمال الفكر في ما يعين على التأدي إلى الفسح المطلوبة في التفكير المسؤول، واقتناص فرصة مراجعة الذات، والدخول في محاسبات منطقية لمدى صحة أو خطأ المناهج والبرامج والأوضاع المجتمعية التي تقوم عليها التجارب الحضارية التي توهج مصباحها في الآونة الأخيرة!

وما يرتبط بالوعي التنظيمي في هذا (المعان الحضاري) فإن التصاعد النسبي للوعي الحيوي في البلاد الإسلامية والتحديات المصيرية المائلة بوجه الأمة، عمل على انبعاث حركات إسلامية كثيرة في مختلف البلدان الإسلامية وغيرها؛ فهناك حالة إسلامية في إيران، وتنظيمات في العراق، والخليج، وحركات في الهند، وباكستان والمغرب ومصر والسودان، وحركات وتنظيمات في أميركا وأوروبا واليابان والصين وروسيا. لقد أمست الحاجة - بالنظر إلى فداحة الأخطار وجسامة التحديات - إلى انصهار كل هذه الحركات في حركة واحدة، ما دام الهدف واحداً، وما دامت المشكلة واحدة.. فالجميع يشكون من آثار الاستعمار والاستغلال والديكتاتورية والتخلف الحضاري، وما أشبه..

واختلاف الاجتهادات لا يضر بالوحدة، فإن الاختلاف أمر طبيعي في جنب اختلاف الناس، وتعدد مشاربهم، وتفاوت مستوياتهم الفكرية والثقافية.. وحل مسألة (اختلاف الاجتهادات) في الحركة العالمية الموحدة - يُتاح عبر العمل بـ(أكثرية الآراء) بحسب موازين الشورى الإسلامية.

فإذا توحدت هذا الحركات، فمن البدهة أنها ستولد قوة كبيرة أمام الاستعمار الخارجي، والتخلف الداخلي، وتفتح آفاقاً جديدة في مختلف مناحي حياة الأمة.

إن من الأمور المهمة التي حققها رسول الله (صلى الله عليه وآله) توحيد المسلمين، وكان ذلك من الأسباب الرئيسية لتقدم المسلمين، وبلوغهم تلك المرتبة الحضارية الرفيعة، وقد قال أحد العلماء: (قام الإسلام على أمرين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة).

وقد ثبت تاريخياً كيف أن سرعة انتشار الإسلام في العالم يومذاك بعد هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة - أدهشت الفرس والروم - والأمم الأخرى، بحيث أنه (صلى الله عليه وآله) استطاع أن يصلح بين قبيلتين (الأوس والخزرج) حيث دام الصراع الدامي بينهما نحو مائة عام، بل ويأخي بينهما، لتعملا معاً على تقدم الإسلام وهكذا عمل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) على توحيد المسلمين..

وفي النصوص الإسلامية تحريض شديد على الوحدة والتوحيد، فقد جاء في الحديث الشريف: (خير الولاية من جمع المختلف، وشر الولاية من فرق المختلف)، وفي القرآن الكريم: (إن فرعون علا في الأرض. وجعل أهلها شيعاً) (القصص/ ٤) و(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (الأنفال/ ٦٤) و(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (آل عمران/ ١٠٣).

وورد في الدعاء - بالنسبة للإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه): (جامع الكلمة على التقوى).

هذا ومن الأهمية بمكان - بداءةً - التوطئة للوحدة المطلوبة بين الحركات، عبر تجاوز السينات، والتغاضي عن الأخطاء، ونبذ الإحن والمشاحنات والمطاحنات؛ التزاماً بقول الله تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (فصلت/ ٣٤-٣٥).

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (المسلمون يدّ على من سواهم) ولم يقل: المسلمون أيد متصافقة، لأنه يريد أن يكونوا وحدة واحدة، كمن يريد أن يدفع عنه مهاجماً فيضربه بجمع يده الواحدة... وهكذا ينبغي أن تكون الأمة إذا أرادت دفع الغزاة والمستعمرين.

الاستشارية شرط نجاح التنظيم واستمراره

من الضروري أن يكون التنظيم استشارياً، لا استبدادياً، فالاستشارية ما وضعت على شيء إلا سببت تقدمه وازدهاره، بينما الاستبداد ما وضع على شيء إلا سبب تأخره وانهياره؛ وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من استبد برأيه هلك).

والإسلام يحبّ (الاستشارة) في كل شيء حتى في الأمور الصغيرة، حيث يقول سبحانه وتعالى: (فإن أرادوا فصلاً عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهما) (البقرة/ ٢٣٢). أي أن أحد الأبوين إذا أراد فطام الطفل عن الرضاع، فعليه أن يستشير الآخر حول ما إذا كان من الأفضل استمرار إرضاع الطفل، أم فطامه؟! فإذا كانت الاستشارة في مثل هذا الأمر الصغير مرغوبة، فكيف بالأمور السياسية والقضايا الكبرى التي يتوقف عليها مصير الأمة؟

وقد طبّق الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) مبدأ (الاستشارة) في شؤون، رغم اتصاله بالوحي، ووفور عقله، وقوة ادراكه، حتى يتعلم المسلمون منه ذلك.

كما أثبت التاريخ أن بعض الكفار جاءوا إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) - في قصة مفصلة - يريدون منه التمر، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): استشير أصحابي في ذلك. وعندما استشارهم الرسول (صلى الله عليه وآله) أشاروا عليه بأن لا يعطيهم التمر، فطلب (صلى الله عليه وآله وسلم) أولئك الكفار، وقال: إن صحابي أبوا أن أعطيكم التمر.

إن التنظيم يجب أن يكون استشارياً من القمة إلى القاعدة.. أما قانون (نقذ ثم ناقش) فليس إلا قانون المستبد.. وقد رأينا كيف ارتطم أصحاب هذا القانون في أحوال التأخر والاستعمار.. على حين أن القانون الصحيح هو (استشر، وقلّب وجوه الرأي، وخذ برأي الأكثرية حسب موازين الشورى الإسلامية، ثم نقذ).

إن الاستشارة تبصّر الإنسان بمواطن الخطأ والصواب - وترشده إلى الطريق السليم.. وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وترى قفاك بجمع مرأتين) ما يعني أن الإنسان لا يستطيع رؤية قفاه بنفسه، بيد أنه لو جمع مرأتين، واحدة أمامه وأخرى خلفه، لتمكن من أن يرى قفاه.

وهكذا غوامض الأمور، لا يمكن ادراكها وفهمها إلا باجتماع الآراء والأفكار والعقول.

لقد قسم الله تعالى (العقل) بين عباده.. وعلى الإنسان أن يجمع عقول الآخرين إلى عقله حتى يتجنب المزالق، ويهتدي إلى سبيل الرشاد. ومن جهة أخرى على التنظيم أن يعي ما يدور حوله؛ أن يعي ماذا يعمل المستعمرون وعملاؤهم ضد المسلمين، وكيف أنهم متحدون - رغم اختلاف مصالحهم وأفكارهم - أمام

المسلمين، وكيف خططوا حتى أجروا الدماء في بلادنا.. في أفغانستان ولبنان وفلسطين، والحدود العراقية - الإيرانية وإريتريا والقلبين وبورما وغيرها... هذا من جانب.
ومن جانب آخر على التنظيم أن يفهم - بعمق - السياسة الإسلامية، والاقتصاد الإسلامي، الثقافة الإسلامية، المجتمع الإسلامي، الدولة الإسلامية، وما إلى ذلك من شؤون هي من صلب القضية الإسلامية.

التنظيم الثوري وتنمية طاقات الأمة

إن معرفة التنظيم الثوري والانخراط فيه ضرورة لا بد منها - وقد قال الإمام علي (عليه السلام): (ونظم أمركم).
وكذلك التنظيم الاجتماعي وغيره من التنظيمات التي تُصب طاقات الإنسان وقدراته، في قنواتها المناسبة، وتستغلها في الواجبات التي يجب على الناس معرفتها والعمل بها، فاللزم العمل في مثل هذه التنظيمات، وممارسة الأعمال والخدمات، في إطارها؛ فإن (يد الله مع الجماعة).

وهكذا فإن تنظيم عملنا، والتنسيق فيما بيننا، في مرحلة الإعداد، شيء نحتاج إليه، كما نحتاجه بعد الوصول إلى الهدف، وإننا في هذه المرحلة، إذا لم نعمل بإتقان وتنظيم، فسوف تتأخر مرحلة الانتصار سنياً طويلة، فعلى المسلم أن يتدرب على جميع الوسائل والأساليب في مقاومة الأنظمة، حتى إذا جاءت ساعة المواجهة لا يكون كالنعامة التي تدس رأسها في التراب، خشية الاصطياد.
فعلينا أن نوجد هذا التعاون، وتلك القدرة التنظيمية الواسعة بيننا، ونعبأ طاقاتنا على هذا الأساس، لكي تتوفر بعد ذلك عوامل وشروط الانتصار، وتصبح المواجهة حينها شيئاً سهلاً ومرحلة نعبرها بسلام، ونكسبها أيضاً.
فمن الممكن أن تكون مرحلة الصراع - مع الأنظمة المستبدة - وإدارته أصعب من مرحلة ما بعد الصراع، فإذا ما كسبنا المعركة، فمرحلة ما بعد الانتصار، وما فيها من مصاعب ومؤامرات داخلية وخارجية، ضد الحركة الإسلامية، وكذلك بناء مؤسسات جديدة، أسهل من مرحلة المواجهة، إذ سوف تكون القدرات حينها بأيدي الأمة، فنستطيع أن نواجه بها الخصم.

على أن هذا التعاون الذي نريد تحقيقه بين أفراد الأمة، بعضهم مع بعض، وبين المنظمات والمؤسسات الإسلامية، وبين الجماهير وقياداتها المرجعية، وكذلك القدرة التنظيمية للأمة، ليس شيئاً يمكن تحقيقه بين عشية وضحاها، بل أن القضية تحتاج إلى عمل جاد ومستمر بين جميع قطاعات الأمة، وبوجه خاص بين الجماهير المؤمنة والقيادة المرجعية التي ستقود الصراع.

ثم إن هناك تجمعاً وتنظيماً أساسياً، لا يمكن التغافل عنه، وعلينا أن نعيره أكبر الاهتمام. ألا وهو (التنظيم الحسيني) فمجالسنا الحسينية التي تقيمها الجماهير المؤمنة أيام عاشوراء، وأربعين الإمام الحسين (عليه السلام) ووفاء النبي (صلى الله عليه وآله) والصديقة الطاهرة (عليها السلام) ومجالس الوفيات للأئمة (عليهم السلام) والمجالس الأسبوعية والشهرية التي تقام في البيوت والمدارس والمساجد، هذه المجالس يجب أن تكون ضمن تنظيم حسيني في كل مدينة وفي كل قرية، وتكون هناك قيادات منتخبة، وتنسيق بين المجالس في اختيار الخطباء، وتنظيم مواكب العزاء، واختيار الشعارات الإسلامية التي تنمي في نفوس الجماهير روح

الحركة والاندفاع نحو مقاومة جميع أشكال الاستبداد والانحراف والظلم.

التنظيم الإسلامي والبدائل المطلوبة

واللازم على التنظيم الإسلامي أن يأتي بالجديد والأفضل - على مستوى التطبيق والنظرية - وإلا فالناس لا يتركون ما هم فيه من الرفاه، أو حدود مقبولة من العيش، إلى الأسوأ - بنظرهم - وكذلك فعل الرسول (صلى الله عليه وآله): إذ أعطى العلم والألفة والرفاه والسيادة والحرية لعالم كان غارقاً في الجهل والاشفاق وتدني مستويات العيش والتمايز الطبقي، ولذا أقبلوا على النموذج الذي أتى به الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله). ولذا فاللزام أن يعطي التنظيم الإسلامي في العصر الراهن، ما يفقده العالم المتحضر، من الحرية والعدالة، وكون عمل كل إنسان لنفسه، والأخوة لكافة بني الإنسان...

فإن من طبيعة الناس أن لا ينضوا تحت لواء المتعجرفين الذين يجعلون آرائهم فوق آراء الآخرين، والذين يعقدون الحياة في أنظار الناس ويلقونها بالصعوبات..

وفي دعاء الإمام السجاد (عليه السلام): (اللهم سددني لأن أعارض من غشني بالنصح وأجزي من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافي من قطعني بالصلة، وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة، وأغضي عن السيئة).

واللازم أن يكون هذا المنهج، هو منهج التنظيم: كتابة، وقولاً، وعملاً، إذ لا يكفي أن يقول أحدهم للناس، كونوا كذا، ويدعي عليهم الدعوات العريضة، ويعزز منهجه بأسلوب رائق من أشكال التنظير، ومعسول الكلام، ثم يعمل بخلاف ذلك تماماً فالأقوال توزن بالأعمال، وليس العكس، حتى أنه ورد في الحديث الشريف: (كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم).

ثم إن هناك ركائز أساسية يقوم عليها البناء الحركي، هي:

١- أن يتحلى أفرادها بالصمود أمام الصعوبات والإغراءات، فإن أول شيء يقوِّض الحركات، هو الاستجابة للإغراءات، وعدم الصمود والاستقامة أمام الصعوبات.

٢- أن يشعر الكل بأنهم يستطيعون العيش في ظل الحركة بأمن وسلام، بل وأكثر من ذلك فإن الحركة توجب نموهم وتوسيع آفاقهم.

٣- أن يبني التنظيم أو الحركة أبنية متوازية، بين السياسة والاجتماع والاقتصاد وإن يبذل الكثير من الاهتمام في سبيل القضاء على التخلف وإنهاء عهد الاستعمار والتبعية بكافة أشكالها، فإن أية حركة أو تنظيم لا يقدر على إيجاد أبنية متوازية في الحقوق والشعب المذكورة، يكون مثله كمثل الطائرة أو السيارة التي لا موازنة بين أجنحتها وعجلاتها، فهي قابلة إلى السقوط والعطب لا محالة.

وغاية الأمر ينبغي للأمة أن ترعى جانب التنظيم، وتولييه كامل الاهتمام، لأجل إصلاح شأنها، وصرف طاقتها ومقدراتها في مصاريفها الصحيحة، بما يعزز كيانها، ويجمع ما تفرق من أمرها، ويعيدها كتلة واحدة مترابطة، لا يطمع في مقدراتها طامع، ولا تستفزها أية قوة مادية في العالم، على أن يكون ملاكها في جميع ذلك هو الاعتصام بحبل الله..

- أفكار مختارة من مؤلفات سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله).

مقالات

علم النفس القرآني.. تجليات الروح الإيمانية

إعداد: زينب عبد الله

قد يظن من يتطرق لعلم النفس بأن هذا العلم هو حكر على علماء النفس الغربيين، ولكننا كمسلمين نعلم بأن الإسلام قد حثَّ على التمتع بالصحة العقلية والنفسية والجسدية، فالإيمان وغيره من القيم والعقائد الإسلامية، يبعث على هدوء النفس واستقرارها وتهذيبها وتأديبها، وكذلك تؤدي جميع العبادات كالصلاة والصوم والحج وأداء الزكاة وغيرها إلى الإحساس بالراحة النفسية والطهر والطهارة والهدوء والاستقرار، وكذلك تؤدي إلى التخلص من مشاعر الإثم والذنب والقلق والتوتر والغضب والاكتئاب وغيرها.

فالإسلام مثلما جاء بكل القوانين والسنن التي تنظم حياة المجتمع والفرد، ولأن الله سبحانه وتعالى يعلم بنفس الإنسان وما يعترئها من تقلبات ووساوس وأهواء لذا فإنه سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم وجعل فيه السكينة، كما أن أحاديث الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأقوال الأئمة (عليهم السلام) فيها ما يبعث على الأمن والاطمئنان والسكينة وتريح النفس من تلك التقلبات والوساوس.

ولقد أكد الإسلام على المحافظة على صحة المؤمن البدنية والعقلية والنفسية والقلبية ووقايتها من الإصابة بالأمراض، وفي الإسلام بجانبه النظري والعملي ما يشفي النفوس المريضة ويحررها من عللها، وعلى ذلك فإن العودة لحظيرة الدين الإسلامي خير وسيلة للوقاية والعلاج من الأمراض النفسية والعقلية، تلك الأمراض التي أدت ظروف الحياة المادية وما فيها من تنافس حاد، وصراعات قوية ونزعات مادية وطمع وجشع وأنانية وغيرها إلى ازديادها وخصوصاً في أيامنا هذه كثيراً...

ولقد تهرأت الشخصية الحديثة في جانبها الخلقي وأصيبت بما يعرف باسم (السيكوباتية) وهي عبارة عن ضعف في ضمير الفرد وشعوره الخلقي.

ويتصف علم النفس الإسلامي بأنه علم روحاني غير مادي يهتم بالجوانب الروحية للإنسان وكذلك هو علم نفس أخلاقي في جوهره فهو يهتم بغرس المبادئ والقيم الأخلاقية في الإنسان بالإضافة إلى ذلك فهو علم إيماني يهدف إلى غرس الإيمان في قلب الفرد وتثبيته وترسيخه وتحويله إلى حيز الوجود الفعلي والسلوك العملي. ومن الميزات التي يتصف بها علم النفس الإسلامي هو أنه علم عقلائي، فلا مجال للخرافة والوهم أو الأفكار الميتافيزيقية، بل أنه علم يخاطب عقل الإنسان وفكره وحسّه فهو يعتمد على الإقناع والبرهنة، لذا فإنه علم تجريبي أي يقوم على أساس مشاهدة الظواهر الكونية والتأمل فيها وملاحظتها ملاحظة دقيقة بغية الاهتداء إلى خالقها تعالى.

ويمتاز هذا العلم بالنظرة الشمولية للإنسان ككل موحد مكون من النفس والجسم وكذلك ينظر إليه كجزء من

كيان أكبر هو الأسرة والمجتمع والوطن..

تعتبر شخصية الإنسان من المفاهيم الأساسية في علم النفس الحديث. وقد أصبحت الجامعات تهتم بهذا الفرع وأفردت له فرعاً خاصاً يسمى بـ(علم نفس الشخصية - Psychology Personality). ويختص هذا الفرع بدراسة مفهوم الشخصية، والعوامل الوراثية والبيئية التي تؤثر في نموها وفي صقلها. وتمتاز الشخصية من وجهة نظر علم النفس الحديث بالديناميكية، أي القابلية للتطور والتغير والنمو، وإذا كان هذا العلم يدرس السمات الثابتة في الشخصية، فإن هذا الثبات لا يمكن أن يكون إلا ثباتاً نسبياً فقط لما يمتاز به الإنسان من المرونة والقدرة على التطوير والتعديل والنمو وتكيف نفسه للمواقف الجديدة التي يوضع فيها. وتساعدنا معرفة الشخصية والعوامل المؤثرة فيها وتوجيهها وتربيتها على القيم الأخلاقية والمثل العليا والتمسك بأداب الدين الإسلامي.

فقد حثَّ الإسلام على الإيجابية في الشخصية الإسلامية، وتظهر هذه الدعوة في كثير من المواقف الفردية والجماعية طوال حياة الفرد منذ نعومة أظفاره حتى نهاية حياته. فالمسلم يجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما في قوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (آل عمران: ١٠٤).

ومن أبرز سمات الإيجابية في الشخصية الإسلامية دعوتها لكي يتحمل صاحبها المسؤولية فلا يقف من الأحداث موقفاً سلبياً، فالمسلم مسؤول عن نفسه وزوجته وأبنائه ومجتمعه، يقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله): (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته). كما ينبغي على المسلم أن لا يقف موقفاً سلبياً عندما يقع ظلم على أخيه المسلم.

وفي الحياة السياسية والعامة يتعين على المسلم أن يكون إيجابياً كأن يسدي النصح إلى ولاة الأمور بأن يتخذوا البطانة الصالحة، ومما يؤكد روح الإيجابية بين جماعة الإسلام اتخاذ مبدأ الشورى والنصح بينهم يقول الله تعالى: (وشاورهم في الأمر) (آل عمران: ١٥١).

ويقع على عاتق الأسرة والمجتمع والمؤسسات، المسؤولية الكبيرة في تنشئة الشخصية الإسلامية الإيجابية. وجاء القرآن الكريم ليصقل هذه الشخصية ويترك عليها بصمته المتميزة في تكوين عقائدها واتجاهاتها العقلية وآرائها وأفكارها وقيمتها ومبادئها ومعاييرها، فلقد استطاع القرآن الكريم أن يعيد بناء الإنسان المسلم على أسس جديدة، وحرره مما كان يرزح تحته من الفسوق والضلال والعنف والعدوان والتصارع..

وتأثير القرآن على المجتمع العربي آنذاك وحتى الآن يفوق تأثير جميع وسائل التربية الحديثة وعلم النفس الحديث في تربية المواطن الصالح، وذلك بدليل ما ينتشر في أكثر المجتمعات المعاصرة رقياً وتقدماً من الأمراض العقلية والنفسية والانحرافات السلوكية. ففي إحدى الدراسات تبين أن متوسط بقاء المريض بالفصام العقلي في المستشفى ثلاثة عشر عاماً.

يأتي القرآن الكريم ليزيل هذا الاضطراب والقلق والفصام، ففي الآية التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها: (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية..) (الفجر: ٢٧) وهي المرتبة والمنزلة الأخيرة التي تصل إليها النفس وبعدها تصل إلى مقام الرجوع إلى الرب (ارجعي إلى ربك) وهذه هي مرتبة الاطمئنان التي من آثارها وخصوصياتها مرتبة الرضا والتسليم.

والنفس الإنسانية عندما تتخيل لنفسها وللماديات استقلالاً في البداية تتصور نفسها أنها هي المالكة (وفي الحقيقة ليس لنفسها إلا القلق والاضطراب) حتى تصل إلى المرتبة التي يتيقن فيها بأن المالك هو الله فقط، فإذا استقرت على هذا الرأي واطمأنت إليه عندئذ لا خوف ولا حزن عليها لأنها قد أصبحت من أولياء الله (ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (يونس: ٦٢).

والقرآن الكريم يقول: (الذين آمنوا وكانوا يتقون) (يونس: ٦٢) عليهم أن يسيروا في طريق التقوى سنين.. ويستمرروا في صراط التقوى وصراط العبودية حتى يصلوا إلى طريق الاطمئنان...

تتكرر كلمة النفس في القرآن الكريم مرات كثيرة، وذلك لأهميتها في تركيب الإنسان، فالنفس بالمعنى العلمي هي ذلك الجوهر أو النظام النفسي الذي يميز الإنسان عن غيره فيجعله يعقل ويفكر ويدبر ويتخذ القرارات، ويصدر الأحكام ويدرك المنبهات المحيطة به ثم يختار طريقه بإرادته الحرة. فالنفس الإنسانية قادرة على اختيار طريقها والتمييز بين الخير والشر بما منحها الله من القدرات. وتلقي حرية الاختيار على النفس مسؤولية ضخمة هي مسؤولية الالتزام بما تختاره - إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وقال الله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه) (ق: ١٦) وأيضاً: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) (الشمس: ٧ و ٨). فهناك مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتق هذه النفس، فالنفس الإنسانية قبلت الأمانة التي تزعزعت الجبال من ثقلها وأبت الأرض حملها، وسوف تحاسب على الالتزام بها أو التفريط فيها تبعاً لنوعية السلوك ومستوى العمل (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) (الزلزلة ٧ و ٨).

وللنفس مراتب فمنها المرتبة العليا للنفس والتي بدورها تنقسم إلى النفس المطمئنة وهي النفس التي تخاف الله وتؤمن بقلائه وترضى بقضائه وتقنع بعطائه (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) (الفجر: ٢٧).

أما النفس اللوامة فهي النفس التي تشعر بالذنب فتندم على ما فات وتلوم عليه فهي في مرتبة الضمير الذي يتولى مهمة الرقابة الداخلية على السلوك (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) (القيامة ١ و ٢). والقسم الثالث من مراتب النفس العليا هي النفس الزكية، وهي النفس الطاهرة من الخبث والدنس والشرك بالله، فهي لا تحنث ولا ترتكب معصية ولا تخالف أوامر الله (قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس) (الكهف: ٧٤). أما المرتبة الدنيا للنفس فهي مرتبة النفوس التي استباححت حرمات الله واتبعت هواها وارتكبت المعاصي ومنها:

النفس الحاسدة والآثمة والأمارة بالسوء والظالمة والمخادعة والنفس ذات النزوع الجنسي المحرم والنفس المتكبرة والنفس البخيلة.

وقد قال الإمام علي (عليه السلام) في النفس: (أفة النفس الوله بالدنيا)، وكذلك يقول (عليه السلام): (عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله).

الصحة النفسية ومظاهرها في القرآن الكريم

يعرّف علماء الصحة النفسية بأنها الخلو من المرض النفسي والقدرة على التوافق، ولو حللنا هذا التعريف

- لوجدناه يشير إلى مبدأ التوازن الذي يبدو في مظهرين سلوكيين هما:
- توازن الفرد داخلياً مع نفسه وهو يعني عدم وجود المرض النفسي، وكذلك توازن الفرد مع الكون بكل مكوناته وهو ما يعني التوافق. وهناك عدة آيات تحت على الاتزان في القرآن منها:
- (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) الأعراف: ٣١.
- (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) القصص: ٧٧.
- وبما أن الصحة النفسية تغني الخلو من المرض النفسي، فمعنى ذلك أن السلوك السوي هو الوسيلة إلى تحقيقها كما أنه المظهر الذي يدل عليها، ومن مظاهر السلوك السوي في الإسلام:
- ١ - الصبر على المكروه والقدرة على التحمل وضبط النفس (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران: ٢٠٠.
 - وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى وسيلة من الوسائل الإسلامية الناجعة في المحافظة على سلامة الصحة النفسية للفرد وهي المثابرة على الصبر والصلاة، لأن الاستعانة بهما تؤدي إلى شكر الله على نعمه، والصبر والتسليم بقضائه في حالة نعمته والاطمئنان إلى حكمه في غير ذلك، وإلى التواضع والرضى بما قسم (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) البقرة: ١٥٣.
 - ٢ - الاستقامة والاعتدال وعدم نسيان ذكر الله وسط هذا الزحام. فقد ضرب الله مثلاً يبين اعتلال الصحة النفسية واضطرابها ويتمثل في المعاندين واللاهين في لإفكهم وضلالهم (أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم) الملك: ٢٢.
 - ٣ - طاعة الله والتقوى والهدى: إذا أراد الله أن يهدي عبده قذف في قلبه نوراً يشرح صدره ويزيل الظلمة عن عينيه (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) النور: ٥٢.
 - ٤ - الاستغفار من الذنوب: عندما يستغفر الإنسان من ذنوبه فذلك يعني أنه قد أصبح واعياً، وقد أصبحت دوافعه معروفة وليست أمراً لا شعورياً وخفياً (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله...) آل عمران: ١٣٥.
 - ٥ - الاطمئنان بذكر الله سبحانه وتعالى: فعدم الشرك بالله يؤدي إلى الشعور بالأمن والاطمئنان النفسي والرضى وعدم الخوف، والبعد عن القلق، فالمؤمنون تطيب نفوسهم وتركوا إلى جانب الله وتسكن عند ذكره (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد: ٢٨.
 - ٦ - الإيثار: وهو تقديم العون للآخرين بحيث يبدأ الفرد بغيره قبل نفسه في حالة الاحتياج، والإنسان لا يبلغ هذه المرتبة إلا إذا تخلص من الأنانية والبخل والطمع والشح والظلم وأخذ حقوق الآخرين (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر: ٩.
 - ٧ - الإيمان بالقضاء والقدر: وهذا الأمر يؤدي إلى الشعور بالراحة النفسية والثقة بالله عز وجل. فما أصابه كان بقضاء من الله وقدره ومشينته، وإن عليه أن يصبر (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) التغابن: ١١.
 - ٨ - تزكية النفوس: فالله سبحانه وتعالى يزكي الأئفس وذلك بأن يلهمها التوبة والبعد عن النقائص من

فجور وذنس (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد...) النور: ٢١.

هذا وقد أشار القرآن الكريم إلى العلاقة الوثيقة بين النفس والجسم وكيف أن بعض المواقف النفسية الصعبة تؤدي إلى ظهور أعراض جسمية تدل على وجود اضطرابات داخلية غير منظورة. وقد أدرك علماء علم النفس العلاجي هذه الحقيقة منذ زمن غير بعيد فأشاروا إلى ضرورة أن يعمل المعالج النفسي على استخدام حواسه للتعرف على ما يدور في داخل الشخص المريض، فمثلاً علامات الوجه المعينة قد تنبئ بمدى جدية المريض في الرغبة في تلقي المساعدة لمساعدة نفسه على التخلص من اضطرابه ويشير القرآن إلى مثل هذه الأمور (ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم) محمد: ٣٠.

وقد يؤدي الخوف مثلاً إلى الوقوف موقف الحيرة والارتباك مما يضطر الإنسان إلى أن يشخص ببصره ويطيل النظر دون أن تطرف له عين لما في قلبه من الهول والفرع (مهطعين مقتعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفندتهم هواء) إبراهيم: ٤٣.

وقد يظهر تأثير الخوف على الإنسان في عدم قدرته على الكلام وضيق الصدر (قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون ولهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلون) الشعراء: ١٢ - ١٤.

وترى في هذه الآية أن شدة الخوف تؤدي إلى زيغ البصر واضطراب القلب (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر) الأحزاب: ١٥.

لقد طرح الدين الإسلامي موضوع علم النفس في القرآن والأحاديث وأقوال الأئمة (عليهم السلام) كما قلنا ونحن هنا لا يسعنا أن نستعرض كل ما قيل، ولكننا نعلم بأن كل الأديان راعت النفس واحتياجاتها، ولكن الدين الإسلامي وبما أنه جمع كل الأديان فقد اعتبر هو قمة الأديان، لذا فإنه لم يدع ركناً يخص الإنسان إلا وطرقه. فالدين الإسلامي هو دين روحاني لذا فإنه يمسّ الروح البشرية وهذه الروح إذا ما اعتراها شيء فإن الجسد بدوره سوف يشوبه الكدر.

والدين الإسلامي جاء لينظم الحياة الاجتماعية، فإنه نظم تلك الروح والنفس الشفافة والصفافية التي أول الأمر أنزلها الله بهذه الصورة ولكن أمور الحياة لطختها ببعض البقع هنا وهناك وكما أشرنا فإن آيات القرآن الكريم هي العلاج والدواء الناجع الذي يصفى هذه الروح فيما لو اعتراها الكدر...

ولم يقصر القرآن الكريم على جانب معين بل طرق كل جانب من جوانب علم النفس من هدوء وشفاء وسكينة النفس كما أرشد إلى علاج الأمراض كالغيبية والنميمة وغيرها من الأمراض النفسية.

المصادر

١ - دراسات في علم النفس الإسلامي، القسم الأول، تأليف الدكتور عبد الرؤوف عبد الغفور، ط ١٠.

٢ - الإسلام والعلاج النفسي الحديث، د. عبد الرحمن عيسوي، دار النهضة العربية، بيروت.

٣ - معرفة النفس، حسن الصفار، دار البيان العربي.

٤ - النفس المطمئنة، تأليف الشهيد آية الله دستغيب

٥ - علم النفس الإسلامي، تأليف الدكتور رمضان محمد القذافي.

مقالات

الأسس العامة للمتمدن الإسلامي

منتظر الموسوي

طُرقت مسألة المجتمع المدني في الشرع الإسلامي كأزمة في عديد: التصدير، وكونها نتاج غربي في العصر الحديث بكل قنواته البعيدة عن الإسلام. ومن بعد أصبحت المدنية أمراً واقعاً... ولا حضارة دونها. ولا وقوف كيان وسط الحضارات ندّاً يمكن له أن يعيش حالة التحدي التي تفرض نفسها، سواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم عسكرية..

والبحث في تمدن الأمة يتناول النظر في ما بلغت إليه من سعة الملك والعظمة والثروة ووصف ما وافق تمدنها من أسباب الحضارة وثمارها. ويدخل في ذلك تاريخ العلم والأدب والصناعة ولوازمها كالمدارس والمكاتب والجمعيات وبسط حال الدولة ومناصبها وما انتهت إليه من الرخاء. وما هو مقدار تأثير ذلك في هينتها الاجتماعية، وذلك يستلزم وصف عادات الأمة وآدابها الاجتماعية ومناحيها السياسية وإسناد ذلك إلى أسبابه وبواعثه.

إن فالأمر واقع لا بد منه، وهذه اللابديّة تفرض على العقل المسلم أن يؤدّج أطروحة تعطي المجتمع المدني إسلاميته، وهو أحقّ بذلك المجتمع المدني من غيره، فالمجتمع الإسلامي بلا شك مجتمع العلم والتقدم سيما أن المجتمع المدني قائم على المعلوماتية، والتكنولوجيا الصاعدة.

من هنا ندخل إلى حيثيات المجتمع المدني لنتناولها داخل الإطار الإسلامي، في الأبعاد التي يتكئ عليها هذا المجتمع.

قدرة التشريع الإسلامي على تقنين المدنية

زوّدنا الإسلام بنظرة عامة إلى الحياة في جميع أبعادها، سواء أكانت على المستوى العقائدي كونه حاجة ضرورية للإنسان، أم على المستوى التنظيمي الحياتي، من خلال الأحكام التشريعية التي أرست قواعد البناء العام لتشكل الحياة المدنية المعقدة، من العلاقات التعاملية اليومية وحتى على مستوى أدلتها بالقيم السلوكية العالية، وبذلك فقد وضع لنا اللمسات الصحيحة لأدق التفاصيل الحياتية فنراه ينظر للجانب الاقتصادي كما ينظر للجانب الإنساني السياسي والاجتماعي منه، عبر نظرة شمولية استوعبت جميع تفاصيل الحياة العامة.

وهذا ما لا غبار عليه لمن يمعن النظر في حركة الإسلام منذ بداياته. ورغم أنه قد جاء في مجتمع بعيد عن المدنية وحركتها. إلا أنه تحرك ومنذ أيامه الأولى لتأسيس دولة عصرية مدنية بأبعادها المختلفة من خلال هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة، وحركته في ذلك المجتمع وهو لا يمتلك الأدوات الكافية لتغطية

تفاصيل الحياة المدنية فيها.

ف نجد أن المشروع الإسلامي قد غطى من خلال نظامه المتكامل أبعاد تلك الدولة الفتية فجعلها قوية متماسكة بما دشّنه الرسول (صلى الله عليه وآله) في ذلك الهيكل المدني الأول.. من قانون قادر على توجيه وإدارة دفّة العلاقات بين الإنسان وأخيه، والإنسان والطبيعة، والإنسان وربّه، فالإسلام لم يأت منحصرّاً ومتقوقعاً على بعدٍ معين زمانياً ومكانياً وإنما جاء شمولياً مستوعباً لأبعاد الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في كل فتراتِها الزمنية وحدودها الجغرافية.

الاجتماع الإسلامي وسط التمدّن

التقنين وليد حاجة الإنسان بعد تداخله مع الآخر (الغرب) وسط حركة المجتمع، فمنذ أن تشكلت الجماعة تعيش الناس من أجل استمرار الحياة ومحاربة الفناء أو الزوال الممكن دفعه من خلال الدفاع عن النفس، وما إلى ذلك.

بالإضافة إلى عجز العقل البشري عن إدراك متطلبات الحياة بوجه مطلق مهما بلغ من السمو والارتقاء. مع أننا نرى أن القوانين مصاغة ومنذ القدم على أساس تعامل الناس بعضهم من البعض، لتكون الإطار الذي يحافظ على العلائق نظراً لتصادم الاحتياجات وتعارض الإرادات والحريات في الحصول على ما يجب تحصيله أو حيازته. ونتيجة لذلك كان الشعور لدى الأفراد بضرورة وضع نظام أو قانون يوظّر الحاجات والامتطلبات كي لا يكون هناك تصادم في الحريات أو تراحم في الحاجات الإنسانية.

وقد ورد في الموسوعة الفرنسية للعلوم والآداب: (أن القوانين التي تضع الأحكام العامة لا تستطيع في الحقيقة أن تتصور جميع الفرضيات الواقعة والتي يحتمل أن تقع. لذا فإن القوانين لا تلبث بعد مدة من وضعها أن تصبح مبهمة كبعض الوقائع غير الوافية لبعض الأحداث).

إن الشعور بعدم إفادة القوانين الوضعية الفائدة المرجوة من خلال نمو الإدراك الاجتماعي وتوسع الحياة المدنية بالإضافة إلى ازدياد المعرفة الإنسانية نتيجة الاختلاف في تعيين مواقع الحقوق والواجبات واختلاف ذهنية الإنسان منعت البشرية من أن تعيش في نعيم واطمئنان.. لأن النظم والمذاهب الاجتماعية التي سادت الذهنية الإنسانية خاوية وغير قادرة على الحلول العقلانية لتعيين مواقع الحقوق والواجبات.

بخلاف الشريعة الإسلامية التي جاءت متضمنة للنظم المدنية في تعيين الحقوق والواجبات (التي قد يخطئ ويُصيب البشر في تعيينها) وتفرض قدسيّتها وحدودها بالإضافة إلى ربطها بإدارة الخالق سبحانه وتعالى لإعطائها صفة الديمومة والاستمرار دون تعديل. وبذلك تكفل النظام الإسلامي الاجتماعي المتكامل بكل وضوح ما تعسرّ على هذه النظم بشكل ثري وواسع وشامل لجميع مفردات ومتطلبات الإنسان في الجانب الاجتماعي.

التقنين الاقتصادي

طالما أن الإسلام هو عقيدة توجيه وإرشاد إلى حياة قويمّة في كل مجالاتها. فهو إرشاد أيضاً لكيفية التعامل مع قوى الإنتاج التي هي قوى العمل والثروات الطبيعية ورأس المال، وهو إرشاد لاقتصاد قويم ناجح. فالقرآن الكريم يقدم لنا الحل الأمثل للمشاكل الاقتصادية العامة مع أنه لا يطرح نظرية اقتصادية جاهزة بكل تفاصيلها

الموسعة، لأن ذلك لا يتوافق مع طبيعته ككتاب شامل يتحدث عن قيم الإنسانية. فلذلك يكتفي بإعطاء الصورة المتكاملة للإنسان المسلم من حيث دوره في عجلة الحياة والاقتصاد كما ويربط الإسلام المسألة الاقتصادية كما جميع المسائل الحياتية الأخرى بمعطيات أعرافه المعنوية والأخلاقية، ولذلك فالقضية في الإسلام لا تدور حول ملكية الفرد أو عدم ملكيته، وأن الملكية يجب أن تكون للدولة أولاً، بل الإسلام يناقش هذه القضية من زاوية أخرى، وهي القيم التي يجب أن تسود الملكية. فهل ينبغي أن يشكل الاقتصاد والملكية التي تنبعث منه محوراً للتجمع البشري، أم لابد أن يكون المحور قيمة أسمى.

ولذلك يهتم القرآن الكريم بالدرجة الأولى بالخلق الاقتصادي للفرد المسلم من حيث كونه عنصراً منتجاً أو موزعاً أو مستهلكاً في الحلقة الكلية الاقتصادية العامة، ويذهب مراد هوفمان السفير الألماني في المغرب في كتابه (الإسلام هو البديل) إلى أن القرآن الكريم وباعتباره الركن الأساسي للتشريع الإسلامي يمكن أن نحرز من خلاله الشروط الهيكلية والإطارية الهامة التي يجب على كل نظام اقتصادي يطلق على نفسه صفة إسلامي أن يلتزم بها.

أولاً: حق الملكية للفرد

وحق تصرفه مبدئياً بما يملكه بما في ذلك وسائل الإنتاج ولا يعتبر حق الملكية هذا من الناحية النظرية القانونية مساوياً لحق الملكية الخاصة بشكلها المطلق، بل هو حق انتفاع مع عدم الإخلال بشروط التكامل الاجتماعي انطلاقاً من أن الملك لله جميعاً ويذهب السيد المدرسي في كتابه التمدن الإسلامي (إلى أن الملكية الخاصة تمثل غريزة في أعماق الإنسان ولا يمكن فصلها عن ذاته، ولذلك فإننا لو منعنا هذه الملكية بصورتها الطبيعية لعبّرت عن نفسها بشكل شاذ. وهذا ما يؤدي إلى الاحتكار بالنسبة للكسبة وللارتشاء بالنسبة إلى الموظفين).

ثانياً: من واجب المسلم أن يؤمن مورد رزقه اكتساباً بواسطة العمل المنتج.

ثالثاً: على الدولة في الإسلام مراقبة حرية السوق واحترام قوانينه (وذلك لقطع دابر الاحتكار وقيود السوق والتلاعب بالأوزان وكل الأشكال المتعددة في الجنايات الاقتصادية).

رابعاً: على المسلم أن يتصرف بأملكه بدون شحّ وتقتير وبدون إسراف وتبذير فعليه كما في جميع شؤونه الاعتدال في الصرف والاستهلاك.

ويعلق مراد هوفمان بعد ذلك: (وإننا نرى أنه من الحكمة والتدبر أن يقتصر القرآن على هذه الحدود والأطر العامة للاقتصاد. بحيث يبقى ضمنها حرية واسعة للتنظيم الاقتصادي المحدد اعتماداً على التغيرات الطارئة والظروف الآتية لكل حقبة من حقبات الزمن).

ثم يطرح (هوفمان) النظام الاقتصادي الإسلامي ليكون بديلاً للرأسمالية الغربية التي تبالغ وتسرف بالاستقلالية الفردية في المجال الاقتصادي.

الفكر السياسي الإسلامي في المدنية الحديثة

كثيرون أولئك الذين يعتقدون بعد الإسلام عن السياسة وأن الدين لم يكن له أن يجتمع مع السياسة وعدم وجود علاقة بينهما مطلقاً، ولكن لو عدنا إلى تفسير السياسة اللغوي وما هو المقصود منها، لوجدناها - كما

يدل عليها لفظها لغوياً - لا تبتعد عن الإسلام روحاً ومنهجاً وفكراً.

يقول الفيروز آبادي في معنى السياسة لغة: (سست الرعية سياسة: أمرتها ونهيتها. فلان مجرب قد ساس وسيّس عليه: أدب وأدب. سؤس فلان أمور الناس: اختير ملكاً).

فإذا كان هذا هو معنى السياسة اللغوي فليس فيه من المعايير التي تبعد الدين عنها كون الدين هو الذي بنى كيانه على الأمر والنهي والحلال والحرام (الجواز والمنع في القانون المدني). فهل هناك مانع من دخول الإسلام كنظام عام في هذه الشؤون مع أننا نعلم أن هذه الشؤون هي من صميم الدين وصميم الرسالة الإسلامية وقد أعطاه الإسلام الأولوية في معطياته الحضارية للأمة الإسلامية. بل دفعت الشريعة الإسلامية الأمة إلى حالة سباق في نهج الأمة سياسياً وفكرياً. وبدأ يتنصّج هذا الأفق في البعد السياسي القريب والبعيد، بتوجيهه وتسييس العلاقات مع المجتمع والدولة... فهناك سياسة داخلية وهي مع أفراد الأسرة ومع باقي الأسر والوجودات داخل المجتمع، وهناك سياسة خارجية مع الدولة وما وراءها يؤطرها قانون الأهم والمهم، والإدارة الواعية للعلاقات (داخلياً وخارجياً).

ومع عودة إلى مفهوم السياسة في بعدها اللغوي نجد أنها تتحرك في ثلاث قنوات على ما يؤسس لذلك محمد حسن آل ياسين في كتابه (مفاهيم إسلامية):

أولاً: الأمر والنهي

وهذا المعنى اللغوي للسياسة وما يتضمنه الأمر من الظهور في الوجوب والنهي من الظهور في الحرمة أو الكراهة كما يقول علماء أصول الفقه، هي الوجه الظاهري للرسالة السماوية؛ لأن الإسلام هو العقيدة بالإضافة إلى الشريعة. والشريعة في الإسلام هي النظام العام الذي يربط علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، بالإضافة إلى المنهج الذي هو مجموعة التعاليم الأخلاقية والتربوية التي توجه حركة الإنسان في الحياة.

ومن خلال هذه النبذة عن الدين كتشريع ومنهج للحياة نفهم مدى التطابق الكبير بين مفهوم السياسة اللغوي الذي يعني الأمر والنهي، يعني (افعل ولا تفعل)، وبين الشريعة الإسلامية حيث نجد أن الأمر والنهي لم يقتصر على العبادات في الشريعة الإسلامية وإنما تعدى إلى المعاملات والأحكام وإلى سلوك الإنسان في حياته ذات الأبعاد المختلفة، فكانت التجارة والصناعة وشؤون المال والاجتماع والاقتصاد وسائر ما يخص العامل والفلاح، وحتى الأمور التي تتعلق بشخصية الإنسان بالإضافة إلى نظم الضرائب والخراج وإصلاح الأراضي وقوانين القضاء بل حتى قوانين الإدارة وقوانين الإصلاح الاجتماعي والتربوي خاضعة إلى الأوامر والنواهي الإسلامية وشأنها شأن الحج والصوم والطهارة والصلاة.

كما أنه ليس هناك بين المؤسسات البشرية مؤسسة تضاهي الدين في سيطرتها على نفسية الفرد وزجره وتهذيب غرائزه حيث يستوي في ذلك البداني والمتمدن من الأفراد ويعود هذا إلى البنية الدينية حيث أن الدين بنى كيانه منذ نشأته على الحلال والحرام، (الأمر والنهي) كما أن الدين الإسلامي جاء بأوامر ونواهي، ومن يمعن النظر في هذه الأوامر والنواهي يدرك أنها إنما جاءت لخير البشر وتحقيق مصالحهم ورفع المفساد عنهم. فأين الفرق في هذه الناحية بين الدين والسياسة حتى يدعي البعض إبعاد الدين عن السياسة، بل لا بد من القول أن السياسة بهذا المعنى هي روح الشريعة في إدارة العباد وتوجيههم نحو المصالح وإبعادهم عن خطر المفساد.

ثانياً: الحكم والإدارة العامة

وهذا المعنى اللغوي الثاني للسياسة، فإذا كانت السياسة تتجلى بهذا المعنى فهذا هو من صميم الأهداف الإسلامية، لأن الإسلام دين سياسة ودين دولة، ومعنى كونه دين دولة كونه يتكفل بنظام قائم على تحديد شكل الحكم ونوعه وله قوانين مشرعة للإدارة العامة وهناك منهاج صالح يجب أن تسير الحكومة الإسلامية على هداه ولا يجوز لها أن تتجاوزته أو تتخطاه وهذا واضح وجلي في حركة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) الإدارية في دولته التي أسسها في المدينة حيث إنه (صلى الله عليه وآله) جهّز طاقماً إدارياً وطاقماً عسكرياً لحماية الثغور الإسلامية وأسس القاعدة وعيّن الممثلين.

ولقد كان للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) مراسلات ومكاتبات كثيرة مع قريش وغيرها قبل الهجرة حينما كان في مكة، وبعدها حينما اتخذ من المدينة المنورة نواة للدولة الإسلامية. وكان يدوّن بعض تلك المكاتبات حول شؤون الحرب والقتال وما يرتبط بهما، وبعضها يتعلق بشؤون اللاجئين الفارين من مكة إلى المدينة. كما وقع حلفاً مع خزاعة.

أما بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) فالأمور الإدارية واضحة من خلال دولة الإمام علي (عليه السلام) والتشريعات التي لازمت المبعوثين من قبله كما حدث ذلك لمالك الأشتر عندما عيّن ممثلاً عنه (عليه السلام) في مصر فقد كتب الإمام (عليه السلام) كتاباً إلى مالك يوضح فيه الخطوط العريضة للحكم وهو أرقى نص سياسي في التراث الإسلامي، يمكن أن ينتزع منه أسساً وأفية في الفكر السياسي الإسلامي وبلحة تأكيدية نجد أن الإمام (عليه السلام) أوصاه بعدة وصايا تتعلق بالدولة وكيفية إدارتها والحفاظ على المركزية وربط الأمة هناك بالسلطة المركزية في الكوفة فكيف لا نعتبر الإسلام دين سياسة ودين دولة؟! وهو قد وضع طرق صياغة الدولة والدفاع عنها وعن أمنها وكذلك تنظيم علاقاتها الخارجية ويعتبر ذلك من الأمور الضرورية لا مندوحة لكل دولة عنها.

ثالثاً: التأدب

وهذا هو المعنى الثالث للسياسة، ولو رجعنا إلى ديننا وإسلامنا لوجدناه يحكي وبكل صراحة أن التأدب هو الجزء الكبير من أجزاء الرسالة الإسلامية الخالدة. وقد وضع الإسلام من التشريعات والنصائح التي أراد بها إشاعة الخلق الرفيع وتكوين النفس المهيبة الكاملة بحيث لم يشرع تشريعاً إلا وله خلقه الخاص به بالإضافة إلى الأخلاق العامة. حتى أنه عرف عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه ميزان الأخلاق الفاضلة ولذلك مدحه الله عز وجل في سورة القلم، آية ٤ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) وحث الإسلام على روح التآخي والمحبة والوئام لكي تسود الطمأنينة في المجتمع الإسلامي ويكون مثلاً لقوله (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) آل عمران: ١١٠، وليكون التاريخ شاهداً على أنكم تملكون القيم قبل المعرفة ومعرفتكم ممزوجة بالأخلاق الكريمة حيث أن القرآن الكريم في كثير من آياته يُقدّم الجانب القيمي والتربوي على الجانب العلمي والمعرفي، كما جاء في قوله تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) سورة الجمعة: ٢، وكذلك في قوله تعالى في سورة الكهف آية ٦٥ (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِزِّنَا وَعِلْمَنَا مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا).

وهكذا يؤكد الإسلام على الجانب السلوكي والتربوي والأخلاقي في مسيرته الخالدة المفعملة بالمحبة والوئام.

بعد هذا لعل سائل يسأل: إذا كان هذا التطابق بين الإسلام والسياسة هي عماد المدنية الحديثة، فلماذا أخذ الباحثون يوظفون لنظرية (بعد الإسلام عن السياسة)؟

لعل المتأمل في هذا السرد البسيط يرى أن الدافع للخوض في هذه المجالات لإيجاد نظرية إقصاء الإسلام عن السياسة هو دافع (هواة الحكم) لأن الإسلام عندما جاء بشرّ بقيام دولة كريمة عمادها الصدق والنزاهة والمساواة والعدالة الاجتماعية والإخلاص في القول والعمل، ما أثار الطامعين في التسلط على رقاب الأمة بضرورة التصدي لهذا الزخّ الروحي العملي المتكامل لأنه يتعارض ومصالحهم الشخصية. فلذلك سارعوا وبشتى أنواع الوسائل لإقصاء الدين أو الإسلام عن السياسة والحكم. ففعلوا ما فعلوا حتى انتهوا إلى ما يأملون وتحقيق لهم ما كانوا يشتهون. فخرجوا بذلك على تعاليم الإسلام وبذلوا كل جهدهم لإقناع الرأي العام بأن حروب الإبادة التي تقوم بها الفئات الحاكمة والسجون والمنافي وإزهاق الأرواح وابتزاز الأموال والاستسلام للشهوات، أن ذلك كله من شؤون الدولة العليا أو ما نسميها (السياسة) باصطلاح اليوم.

المصادر

- ١- التمدن الإسلامي، الإمام الشيرازي.
- ٢- التمدن الإسلامي محمد تقي المدرسي.
- ٣- الإسلام هو البديل، مراد هوفمان.

مقالات

عوامل التواصل الثقافي مع الجاليات المسلمة في الغرب

حيدر البصري

منذ قرن مضى تقريباً دفعت الظروف الاقتصادية المتردية، والناشئة عن استئثار طائفة صغيرة من الناس بمقدرات الأمة، والظروف السياسية المتمثلة بكبت الحريات وانعدام الديمقراطية، كل هذا دفع العديد من أبناء الأمة إلى التدفق في هجرة متنامية نحو الغرب أملاً في الحصول على ظروف حياتية مختلفة.

لقد وصل أمر الهجرة من الزيادة بحيث لو خُلي بين الناس، وبين سبل الوصول إلى الغرب لخلت أمتنا في غضون سنوات قليلة إلا من أولئك الذين يمتلكون الثروة، والقدرة.

ومع قلة وسائل الاتصال فيما مضى عاش المهاجرون حالة من الانقطاع عن ثقافتهم، وتاريخهم ودينهم، وحضارتهم، حتى انعكس هذا الانقطاع على الجيل الثاني من المهاجرين بحيث لم تعد تميز بينه وبين أبناء تلك البلاد، هذه الحالة من الخطورة بمكان بحيث يفترض أن ترتقي مكانة متقدمة في سلم أولويات أصحاب القرار. فمع ما نشهده من زيادة مرعبة في الهجرة بنوعيتها المنظم وغير المنظم ينذر الأفق بكارثة واقعة لا محالة ما لم يتحرك أصحاب المسؤولية في هذا المجال، وهذه الكارثة تتمثل بانصهار جيل ضخم، وانقطاعه عن حضارته، وتاريخه، فيكون أبناء هذه الأمة أعداء لها يستخدمهم الغرب ضدها.

إن المسؤولية هنا تقع على عاتق طرفين بيدهم حلّها، وفي أعناقهم مسؤوليتها، وأعني بهذين الطرفين: الجيل الأول من المهاجرين، أي الآباء والأمهات أولاً، وأصحاب المسؤولية في المراكز الإسلامية العاملة في التبليغ الإسلامي، والثقافة الإسلامية ثانياً.

فعلى ضوء ما تم التوصل إليه من أن المسؤولية مشتركة بين الطرفين المتقدمين نقول، ما هي الواجبات الملقاة على عاتق الطرف الأول منها - الجيل الأول من المهاجرين - وما هي مسؤولية الطرف الثاني إزاء الجيل المهاجر؟ هذا ما سوف نحاول أن نلقي الضوء عليه في هذه السطور بعون الله تعالى.

ولكن قبل الخوض في هذا الأمر لا بد من التنبيه على أمر في غاية الأهمية يتوجب على الطرفين أن يضعاه نصب أعينهم، وهذا الأمر هو أنه إذا كان هناك سبيل لتحجج الطرفين بانعدام أو ضعف وسائل الاتصال، والتواصل، فإنه مع هذا التقدم العلمي الهائل ونحن نلج القرن الواحد والعشرين، قرن العولمة لا مجال للاعتذار ولا عذر للمقصر في المقام.

١ - فيما يخص مسؤولية أولياء الأمور من المهاجرين

نحن لا نريد أن نبالغ في إلقاء المسؤولية الأكبر على عاتق أولياء الأمور المهاجرين بناءً على الإمكانيات المادية المتاحة لهم، والتي تسهل لهم سبل الارتباط مع المراكز العلمية والثقافية الإسلامية في بلدانهم، ولكننا لا

يمكن أن نكون مبالغين فيما لو جعلنا الأولياء يتشاطرون المسؤولية مع القائمين على المراكز المذكورة، إذن ما هو نوع هذه المسؤولية التي نتكلم عنها هنا؟

لقد حددت الأخبار الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته معالم هذه المسؤولية، فقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (من حق الولد على والده ثلاثة: يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة، ويزوجه إذا بلغ)(١)

وقال (صلى الله عليه وآله): (حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة، والسباحة، والرماية، وأن لا يرزقه إلا طيباً)(٢)

هذه الجوانب الإيجابية من الموضوع، أي الجانب الذي يفرض فيه الإسلام الواجبات على عاتق الأب تجاه الولد، أما الجانب السلبي منه، - أي ما يجب أن يمتنع الوالد عنه - فيتمثل في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (٣).

إن مسؤولية تعليم الأبناء تقع بالدرجة الأولى على عاتق الأسرة بالخصوص الأم والأب.. قال الله تعالى في كتابه الكريم: (وَقَفَّوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ) (٤). مسؤولون عن أنفسهم، ومسؤولون عن أولادهم (٥).

إذن كيف تكون الوقاية من النار هذه التي أشارت إليها الآية الكريمة التي سبق ذكرها؟ إن الوقاية إنما تكون بالتعليم بجوانبه الدينية والدنيوية والأخلاقية والسلوكية كافة (٦).

هذه الأمور التي أشارت إليها الفقرات المتقدمة كلها تعدّ تمهيداً لبناء شخصية الطفل بناءً سليماً والزجّ به في مجتمعه كلبنة صالحة، فإذا لم يكن المجتمع الذي يعيش فيه الطفل هو المجتمع المسلم فلا يعني ذلك انتفاء هذه المسؤولية عن الأبوين، بل على العكس من ذلك. إن الواجب هنا يكون بتنشئة الطفل التنشئة الاجتماعية الصحيحة وتغذيته بمبادئ الإسلام كي يكون - في المستقبل - مرآة تنعكس فيها صورة الإسلام.

إن وظيفة الأب - باعتباره القائد لسفينة الأسرة - لا تتلخص بتوفير لقمة العيش الكريمة للأطفال وإن كانت على حساب تربيته، وانقطاعهم عن دينهم وحضارتهم، وإنما تعدّ مهمة التربية الإسلامية الصحيحة المسؤولية الأهم من بين المسؤوليات التي تقع على عاتقه. فكما أن مسؤولية الأب هي تنشئة الأولاد التنشئة الاجتماعية الصحيحة في المجتمع الإسلامي فكذلك هي مسؤوليته تجاه أولاده في الغرب.

إن هذه التنشئة والإعداد تتم (على مرحلتين أساسيتين:

١- مرحلة التهيئة أو تنسيق القوى والاستعدادات البيولوجية والنفسية وغيرها بحيث يصبح الفرد مهيناً لعملية التنشئة الاجتماعية.

١ - ميزان الحكمة ١٠ / ٧٢٠.

٢ - المصدر السابق.

٣ - سورة التحريم: ٦.

٤ - سورة الصافات: ٢٣.

٥ - حول مشاكل الأسرة المسلمة في الغرب، ١٣٨ - ١٣٩.

٦ - حول مشاكل الأسرة المسلمة في الغرب، المصدر المتقدم، ١٣٩.

مسؤولية الأب الحضارية

لابدّ للأب - كمسؤول عن الأسرة - من البحث عن الوسائل اللازمة التي يتمكن من خلالها التواصل مع مراكز الإشعاع الحضاري الإسلامي، سواء أكان ذلك في بلاده الأصلية، أم في بلد المهجر. وإذا كان للإنسان الذي يعيش في بعض بلدان العالم من التي تعاني نقص وسائل الاتصال، فليس هناك عذر لمن يعيش في كنف الغرب حيث التقدم التكنولوجي الهائل، والذي وصل قمته الآن من خلال شبكة الاتصالات العالمية (الإنترنت) التي يتاح استخدامها لكل فرد في الغرب.

ثم أن المؤسسات الإسلامية باتت منتشرة كذلك في أرجاء العالم الغربي فلا بدّ للأب المسلم الذي يعي مسؤوليته أمام الله وأمام أولاده من أن يهيئ سبل الاتصال بهذه المؤسسات ليضمن التوجيه اللازم في سلوكه مع عائلته وفق الأطر الإسلامية الصحيحة.

٢ - مسؤولية الطرف الثاني

من الضروري على العقلاء من العلماء وغيرهم أن يهتموا بمسألة الشباب ومشاكلهم فيأخذوا بالشباب في تنظييمات صحيحة حتى لا يخرطوا في أحزاب الغرب والشرق أو جماعات الفساد (٢).

إن المسؤولية تتضاعف على المسؤولين تجاه الجالية المسلمة التي تعيش في كنف الغرب وذلك أنه إذا كان هناك خوف على جيل يعيش بين ظهرانينا في ظل سطوة الثقافة الغربية التي صارت تصدر إلينا من خلال ما تمتلك من وسائل إعلام لا يخلو بيت من بيوتنا من الآلات التي تلتقط ما تبثه أجهزة الغرب، فإن الخوف لابدّ سيتضاعف على جيل يعيش وسط تلك البلدان التي يخشى من السموم التي تبثها لنا.

فعلى الجميع - ممن في موقع المسؤولية - أن يشمرّ عن ساعد الجد فيعمل على تجاوز عثرات الماضي وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، واتخاذ التدابير الاحترازية التي تقف حائلاً دون ذهاب الباقي، ولكن ما هي الوسائل التي يمكن من خلالها بلوغ هذا الهدف؟

من أين ننتقل؟

ونحن نعيش بدايات القرن الواحد والعشرين قرن العولمة، لابدّ لنا من أن ننطلق بالمستوى الذي يوازي ما وصل إليه هذا القرن من التقدم العلمي، ولندع جانباً تلك الوسائل القديمة التي لم تعد تواكب هذا العصر.

ولو بحثنا لوجدنا أن هناك نوعين من السبل التي يمكن من خلالها تطويق المشكلة، وحلها وهذان النوعان هما: ما يمكن القيام به - من قبل المسؤولين - دون حاجة إلى تكلف الانتقال إلى الغرب، والآخر ما لا يمكن القيام به إلا بالانتقال إلى البلدان التي تعيش فيها الأسر المسلمة المهاجرة في الغرب.

النوع الأول: ويتمثل هذا النوع في الاستفادة من وسائل الإعلام الحديثة، وإنشائها لإيصال الثقافة الإسلامية

١ - د. علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، ص ١٨٥.

٢ - الإمام محمد الحسيني الشيرازي، الشباب، ص ١٩.

حيث يعيش المهاجر المسلم في كل بلدان العالم الغربي، ففكرة إنشاء فضائية إسلامية على غرار بعض الفضائيات الموجودة حالياً تؤدي للمهاجر خدمة لا تضاهيها خدمة، فالإيجابية التي تتميز بها هذه الفضائيات هي أنها لا تعطي للأب سبيلاً للتحجج بالعمل، والمشغل الأخرى عن التواصل معها، فهي لا تتطلب منه سوى تشغيل جهاز التلفاز. وهناك شبكة الاتصالات العالمية (الإنترنت)، فهذه وسيلة هامة من وسائل الاتصال مع المسلمين المهاجرين، فالاستفادة من هذه الوسيلة متاحة لمن أراد في الدول الغربية، ثم أن وسائل الإعلام المقروءة من السبل الهامة التي يجب توظيفها في خدمة هذا الإنسان الذي يعيش بعيداً عن المراكز العلمية والثقافية الإسلامية.

النوع الثاني: وهذا النوع من سبل التواصل مع المسلمين في الغرب يعدّ من أهم السبل التي لو استفيد منها على النحو المطلوب لأنت ثمارها من خلال ربط الجيل الأول والثاني الذي يعيش في دول الغرب مع دينهم، وحضارتهم.

إن هذا النوع يتمثل في وسيلتين طالما علّق الإسلام عليهما أهمية كبرى في اعتبارهما مركزاً من مراكز الإشعاع الإسلامي، وهاتان الويلتان هما:

١- المسجد: وهو الوسيلة الأعم من بين الويلتين على اعتبار أن المسجد هو محل العبادة بالنسبة للمسلمين كافة.

٢- الحسينيات: إن الحسينية تعدّ أخص من المسجد باعتبارها محلاً للإشعاع الديني ولكن ليس للمسلمين كافة وإنما بالنسبة للشيعة فقط، وهذه الخصوصية لم تكن من صنع الشيعة بقدر ما صنعتها الحساسة المفرطة من إثارة بعض القضايا التاريخية، ووضعها على طاولة التشريح لمعرفة أسبابها، والظروف المحيطة بها، وعلى رأس تلك القضايا قضية مقتل الإمام الحسين بن علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، والتي كانت الأساس في تشكيل هذه المؤسسة الدينية الثقافية.

إنّ فالخصوصية، والأخصية لم تكن قد فرضت من قبل الشيعة بل على العكس من ذلك، فإن الحسينيات مراكز دينية ثقافية مفتوحة الأبواب لمن أراد - من المسلمين - أن يستزيد من نور علم النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام).

بعد ذكر هاتين الويلتين الهامتين، نقول لابدّ من توظيف هاتين الويلتين لشدّ المغتربين نحو دينهم وحضارتهم.

فأما المسجد فلا يجب أن يكون محلاً لأداء الصلاة فقط، وإنما يجب أن يوظف لتثقيف المهاجرين بخطورة الموقف الذي هم فيه اجتماعياً، وهذا الأمر يتطلب من القائمين على المساجد في الغرب، أن يعوا وظيفة ودور المسجد كمؤسسة تثقيفية على الأصعدة كافة فعليهم واجب إقامة البرامج التي من شأنها تشجيع الآباء على إرسال أبنائهم إلى المسجد من قبيل دورات التحفيظ للقرآن الكريم، وتعليم الصلاة، إلى غيرها من تلك البرامج التي يفضل أن تقترن بالأمور التشجيعية، التي تكون دافعاً للبعض في التواصل مع هذه المؤسسة. ثم أنه يقع على عاتق العلماء الذين في عهدتهم إرسال أئمة المساجد إلى الغرب مسؤولية انتخاب الإمام الواعي للدين الإسلامي، وبظروف البلاد التي سوف يكون إماماً للناس في مساجدها إذ أن غير العالم بدينه، أو بظروف بلاد الغرب سوف لن يكون له تأثير في شدّ الناس إلى المسجد، إن لم نقل بإمكانية ضرره من حيث يريد أن ينفع.

هذا من جهة المسجد كوسيلة لربط المهاجرين بدينهم، وحضارتهم، وقيمهم، أما فيما يخص الحسينيات كوسيلة لذلك فإن الأمر في غاية الأهمية، في ظل ما ينسج من التهم إزاء هذه المؤسسات الدينية التي لا تختلف في وظيفتها مع المؤسسة الأولى - المسجد - إلا من حيث الأحكام الخاصة التي أولتها الشريعة الإسلامية للمسجد، وإلا فالوظيفة واحدة.

إن هذه المؤسسة يجب أن تتحول إلى منار لهداية الناس نحو الطريق الذي رسمته لنا الشريعة الإسلامية الغراء وهذا لا يمكن تحقيقه ما لم يلتفت القائمون والمسؤولون عن الحسينيات إلى جملة من الأمور منها:

١- يجب أن يكون الشخص الذي يرتقي منبر المحاضرات الدينية على قدر من العلمية يتناسب مع دور هذه المؤسسة من جهة، والبلد الذي أنشئت فيه من جهة ثانية، وإلا فارتقاء فاقد الخبرة والكفاءة العلمية من شأنه أن ينقر الناس من هذه المؤسسة.

٢- يجب أن تكون الموضوعات المثارة مما لا يثير حساسية وحفيظة البعض، أي يفترض الاعتدال في طرح القضايا الإسلامية، لتتحول الحسينية إلى مركز إشعاع حضاري من شأنه جذب الناس، وجمع قلوبهم.

هذا بعض ما من شأنه أن يربط المسلم المهاجر بحضارته ودينه، ولكن ليست هذه هي السبل الوحيدة، وإنما هناك أمور أخرى قد لا تصل إليها أيدي القائمين ولكن أصحاب الاختصاص حدّدوا أهميتها في توعية المهاجر وتنويره وتربيته من قبيل:

١- المدرسة.

٢- المجتمع.

إلا أننا أعرضنا عن ذكر هذين الأمرين لصعوبة السيطرة من قبل المسؤولين عليها.

المسلمون في العالم

المسلمون في الهند

إعداد: جعفر جاسم

يعود تاريخ الهند إلى حوالي أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، فقد سادت دول عديدة في الهند بدءاً من الإمبراطورية الهندوسية ومروراً بالفتح الإسلامي والإمارات الإسلامية والاستعمار البريطاني وانتهاءً بالدولة الهندية الحديثة.

تبلغ مساحة الهند ٣,٢٨٢,٠٠٠ كيلومتر مربع وسكانها يزيدون عن مليار نسمة، فهي تشكل قارة بمعنى الكلمة برغم التقسيم الذي حصل بعد الاستقلال.

تعتبر الهند بلد التعدد الديني ويمكن القول أن الديانات الرئيسية في الهند أربعة:

١ - الهندوسية: وهي أقدم الديانات في الهند حيث ترجع إلى ما قبل القرن الثامن قبل الميلاد، ثم تطورت مع مرور الزمن، وللهندوس عدة كتب مقدسة تمتاز بعسر الفهم والغرابة. وأهم معتقداتهم هي التثليث أي أنهم يعتقدون بوجود ثلاثة آلهة، وتقديس البقرة والتبرك بها، وحرق الأجساد وتناسخ الأرواح وغيرها من المعتقدات. ويشكل الهندوس ٨٠% من مجموع السكان.

٢ - البوذية: وهذه ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد أسست على يد سدهارتا جوتاما الذي ولد سنة ٥٧٧ قبل الميلاد وهي دعوة صوفية تنبذ الترف وتنادي بالمحبة والتسامح والزهد، لكنها تحولت إلى ديانة وثنية بعد موت مؤسسها. وانقسم البوذيون بعد ذلك إلى قسمين: المذهب الشمالي: وهؤلاء يعبدون بوذا ويؤلهونه، والمذهب الجنوبي: وهم أقل غلواً في بوذا. وقد ضعفت البوذية في الهند بعد تغلب الهندوسية عليها، ولكنها انتشرت في بلدان أخرى كالصين واليابان والهند.

٣ - السيخ: تأسست في نهاية القرن الخامس عشر على يد (فانك). تمثل ديانة السيخ مزيجاً من أفكار إسلامية وهندوسية، ورفع السيخ شعار (لا هندوس ولا مسلمون) وذلك من أجل التقريب والجمع والوحدة بين الهندوس والمسلمين. وبعد وفاة (فانك) جاء بعده عشرة خلفاء آخرهم (غوبند سنغ) والذي أعلن إنهاء سلسلة المسلمين، وصار زعماءهم يعرفون باسم المهراجا. أشهر كتب السيخ هو كتاب (آدي غرانت) وهو عبارة عن ٦٠٠٠ نشيد. وكتاب (راحت ناها) ويحتوي على تقاليدهم وتعاليمهم.

تاريخ المسلمين في الهند

لقد كانت للهند والتجار العرب صلات تجارية قبل فتح الهند ودخولها في الإسلام وبالخصوص التجار والبحارة الحضارمة، الذين كانوا ينقلون معهم دينهم مثلما ينقلون تجارتهم ويروجونها في كل مكان يحلون فيه.

ولقد نالت سواحل السند والمليبار الواقعة على بحر العرب وسيلان حظها عبر هؤلاء التجار.

أما عن فتح الهند بالجيش فقد بدأ ذلك في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث توجه إلى الهند الحارث ابن أبي مرة في سنة ٣٨ هـ متطوعاً بإذن الإمام علي (عليه السلام) وبعد الحارث بدأ المسلمون وقوادهم بطرق حدود الهند عبر هجمات وفتوحات بسيطة إلا أن الحملة القوية التي قادها محمد بن القاسم استطاعت أن تحتل أراضي واسعة لكنها لم تستطع فتح الهند بكاملها، وفي عهد الدولة العباسية أصبحت السند تحت سيطرتهم ثم خرجت عن سيطرتهم في أواخر عهدهم.

وفي عهد (الغزنويين) وصل المسلمون البنغال وفتحوا دلهي وبيهار سنة ٥٩٧ هـ. واستطاعت أسرة (تغلق) أن تحكم الهند كلها سنة ٧٣٩ هـ. ومن ثم جاء المغول وحكموا القارة الهندية في القرن العاشر الهجري وقد استمر الحكم الإسلامي في الهند قرابة ثمانين قرون ونصف.

إن تاريخ الإسلام في الهند عريق، ولا يمكن أن يُنسى أو يمحي من ذاكرة التاريخ، فلقد استطاع أن يُقيم حكماً دام أكثر من ثمانين قرون، وبالتالي فإنه استطاع أن يشكل جزءاً كبيراً من تاريخ الهند الديني والاجتماعي والسياسي والزائر للهند يكتشف هذا الأمر الذي خلقه الإسلام والمسلمون من خلال المساجد والمدارس والتواجد المسلم الظاهر للعيان برغم حالة الاضطهاد التي يعانيها المسلمون هناك.

عدد المسلمين وتواجدهم

يقدّر المسلمين في الهند بحوالي ١٢٠ مليون نسمة ويشكلون نسبة من ١٢ إلى ١٤%. ويتوزعون على غالبية مقاطعات الهند التي تربو على ٣٠ مقاطعة، إلا أنهم يتركزون - لأسباب دينية وسياسية - في المناطق الشمالية بين السند والبنغال مثل أسام وبيهار ودلهي، والسواحل الغربية التي تضم مهار، اشترا، وكيمالا، وجزر لاكاويف، وتقل نسبة تواجد المسلمين في السواحل الشرقية مثل بوند يشيري، ومدلاس، واندرا برأوش، وأقل نسبة تواجد للمسلمين في المناطق الداخلية حيث مقاطعات ما ينبور، وتريبورا، ومدحيا، وبرادش، وهريانا.

ويلعب التاريخ والواقع دوراً كبيراً في جغرافية المسلمين في الهند، فالمناطق الشمالية التي خضعت للفتح الإسلامي هي الأكثر من حيث التواجد إضافة إلى الضغط الهندوسي سواء في عهد الاستعمار البريطاني أو في عهد الدولة الهندية الحديثة، حيث يشكل سبب تجمع المسلمين أو تشتتهم في هذه القارة الواسعة.

مشاكل المسلمين في الهند

في عام ١٩٤٧ تم تقسيم الهند إلى قسمين الهند والباكستان وقد وافق زعماء الطوائف الثلاثة الكبرى: جواهر لال نهرو ممثل الهندوس، محمد علي جناح ممثل المسلمين، والسردار بالدين سنغ ممثل السيخ، على مشروع التقسيم وأوصوا أتباعهم بإنهاء حالة الاضطرابات الطائفية. بعد سلسلة المذابح الطائفية. إن واقع الأقلية المسلمة في الهند يزداد سوءاً حيث تتهددهم الاضطرابات الطائفية بين فترة وأخرى. وتبقى هذه الفتن مثل القنبلة تنفجر بمجرد أي حدث بسيط، وبرغم أن أكثر من سبع ملايين مسلم نزحوا إلى الباكستان إلا أن هناك في الهند ملايين من المسلمين ضمن رقعة جغرافية هندوسية كبيرة.

التعصب الهندوسي

يجب أن نلفت النظر إلى الدور الرئيسي لأدوات وآليات نشر ثقافة التعصب والكرهية والعنف القائم على إسناد ديني، أي إلى دور الأحزاب الأصولية الهندوسية، ويعد حزب بهارتيا جاناتا - والذي فاز بالانتخابات مؤخراً - أهم قوى الأصولية الهندوسية. وهو يطرح شعاراً بسيطاً قوامه (الوطنية الثقافية) ويعني ذلك أن الوطنية في الهند تستند إلى الديانة (أو بالأحرى الديانات الهندوسية) وينادي الحزب بإحياء الوطنية الهندوسية التي يرى أنها قد هُتمشت وفقاً للدستور الهندي. وتصطدم فكرة الوطنية الهندوسية أساساً مع واقع التاريخ الهندي، إذ يرى هذا الحزب أن الإمبراطوريات الإسلامية في الهند - وتحديداً الإمبراطوريات المغولية - قد ظلمت الديانات الهندوسية بمحاولتها إبادةها. ولذلك فإن الحزب يكاد أن يلخص دعوته الإيديولوجية كلها بالمطالبة بتحويل المساجد الهندية التاريخية وتحويلها إلى معابد هندوسية.

موقف المسلمين

تتنوع استجابة أجيال المسلمين ومدارسهم السياسية والثقافية في الهند حيال المحنة التي يتعرضون لها جميعاً مع تصاعد المد الأصولي الهندوسي العنيف، وخاصة بعد أحداث ٦ ديسمبر ١٩٩٢ وهي حادثة هدم مسجد (البابري) من قبل آلاف من المتطرفين الهندوس. وتتطرق بعض هذه الاستجابات من أقصى العنف - حيث هناك دعوة للجهاد - إلى أقصى درجات المرونة حتى تصل إلى الدعوة للتفاوض مع حزب (بهارتيا جاناتا) أكبر الأحزاب الأصولية الهندوسية. ويجب على المسلمين أن يتجاوزوا التعصب الطائفي بالجمع بين أقصى درجة من العقلانية والاستنارة، والنضال جنباً إلى جنب مع كل القوى الديمقراطية في الهند ضد الفاشية بكل صورها.

الفقر والتخلف والجهل

المشكلة الأخطر التي يواجهها المسلمون في الهند هي الفقر والتخلف وهي نتاج الجهل والامية، فبينما كان الهندوس يتعلمون ويسعون لتحسين أوضاعهم الاقتصادية، فإن المسلمين استجابوا لرغبة المستعمر البريطاني وظلوا غارقين في بحر الجهل والفقر، مما ساهم في تخلفهم وإبقائهم ضمن الطبقات الدنيا في المجتمع الهندي الغارق في الطبقة الدينية والاقتصادية.

وهذا الأمر ساهم في جعل وضع المسلمين نحو الأسوأ، وجعلهم يعيشون في أجواء وقد نفسية خانقة. صحيح أن شخصيات عديدة شغلت أو تشغل وظائف مهمة جداً في الهند ومنهم من أصبح رئيساً للجمهورية أو حكام ولايات مختلفة. إلا أن هذا لا يعتبر دليل التمتع بالحقوق السياسية والجزء الأكبر من هذه العملية مجرد دعاية وتضليل للرأي العام.

إن بعض الوظائف أو المهمات التي يشغلها أو يقوم بها بعض المسلمين لا تحقق أهداف ورغبات ومن أجل الحصول على هذه المكانة فإنهم يتنازلون عن كثير من مبادئهم ولا يشاركون أبناء عقيدتهم وإخوانهم في الآلام وينصهرون في الخط السياسي الهندوسي الذي يحكم البلد، وفي النهاية تكون خدماتهم لهؤلاء وليس للمسلمين.

كما أن المسؤولين الحكوميين يختارون من الطبقات المترفة الغنية والتي لا تحس بمعاناة الجائعين والفقراء. هذه من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء مجرد أدوات طيعة بيد حكام الهند، وذلك لتحقيق مخططاتهم في التقارب مع العالم الإسلامي وخاصة الدول العربية، هؤلاء المسؤولون أينما حلوا يعطون تقديرات خاطئة عن أحول المسلمين في الهند.

والمشكلة الأخرى للمسلمين هي التخلف من الناحية الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية حيث هناك نسبة ضئيلة من المسلمين الذين يعملون في الوظائف الحكومية، وبالرغم من أن الحكومة الهندية تزعم بأن المسلمين لا يتقدمون للاستخدام في الوظائف كما أن نسبة المتدربين من الناحية التكنولوجية منخفضة جداً. لكن يجب على الحكومة وطبقاً للفقرة (٤) من المادة (١٦) في الدستور الهندي أن تهيأ الأعمال ممثلة في الخدمات التي تقدمها الدولة. لذا فإن المسلمين ينطبق عليهم ذلك من الناحية الاجتماعية والتعليمية قد تخلفوا إلا أن الحكومة لا تفعل شيئاً من أجل تهيئة الأعمال لهم.

المصادر

- ١ - تاريخ الإسلام في الهند. د. عبد المنعم نمر.
- ٢ - التاريخ الإسلامي. الأقليات المسلمة ج ٢. محمود شاكر.
- ٣ - المسلمون في الهند وحرب الإبادة الهندوسية. حسين صالح آل الشيخ. مجلة البصائر العدد (١٤).
- ٤ - مجلة العربي. العدد (٤١٩).
- ٥ - مجلة الموسم. العدد (١٩) ١٩٩٤.

شخصية العدد

الخطيب

السيد محمد كاظم القزويني (رحمه الله)

من الأساتذة المعروفين في الخطابة والمنبر الحسيني الذين تلقوا علومهم في مدرسة الخطابة الكربلائية سماحة العلامة المجاهد الخطيب الراحل السيد محمد كاظم القزويني (طاب ثراه).
كان الفقيد الراحل مثلاً حياً لأخلاق أجداده الكرام زاخراً بالعلم زاهداً، أسوة بمن سبقوه وعملاً بمذهب أهل البيت وما جسّدوه.

والسيد القزويني من مواليد كربلاء المقدسة، ولادته في الثاني عشر من شهر شوال ١٣٤٨ هـ - ١٣/١/١٩٣٠ م. نشأ يتيماً بعدما لاحقته المنية بوفاة والده ووالدته وهو في عقده الأول.

دراسته العلمية

ابتدأت مناهل العلم في حياة راحلنا تقطع أشواطها لتملاً حياته بالاجتهاد والمعرفة عندما ارتشف ذلك الرحيق على أيدي جمع من رجال العلم وفقهانه ممن سبقوه إلى راحلة الأسفار المتألقة بالخصوبة والعطاء.
فكان الشيخ جعفر الرشتي والسيد محمد هادي الميلاني والسيد ميرزا مهدي الشيرازي والشيخ يوسف الخراساني والشيخ محمد الخطيب. تلك الكوكبة الفاضلة من رجال العلم وأنوارها المتميزين وكان الإقرار بتفوقه العلمي وبقدر ما استطاع أن يحصل عليه في ميدان العلم.
تلقى دراسته في ميدان الخطابة ليرتقي المجالس الحاشدة بالحاضرين في كربلاء ليؤدي رسالته في التوجيه، فكان من نشاطاته ما أرسى عليه إمكانياته على مستوى النشاط العلمي والميداني.

السيد القزويني، المعطيات والمنجزات

سلسلة من المؤلفات التي استطاع سماحته أن يرتقي لتلك المحبة الولائية من خلالها وتم تأليفها بطريقته المعهودة في البساطة والجاذبية وهي:

- ١ - الإمام علي من المهد إلى اللحد.
- ٢ - فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد.
- ٣ - الإمام الجواد من المهد إلى اللحد.
- ٤ - الإمام الهادي من المهد إلى اللحد.

٥ - الإمام العسكري من المهد إلى اللحد.

٦ - الإمام المهدي من المهد إلى اللحد.

٧ - الإسلام والتعاليم التربوية.

٨ - شرح نهج البلاغة.

٩ - فاجعة الطف أو مقتل الإمام الحسين (عليه السلام).

١٠ - موسوعة الإمام الصادق (عليه السلام).

ثم تفرغ لتأسيس رابطة للنشر الإسلامي في كربلاء استطاع من خلالها طبع وتوزيع الكتب الإسلامية بغية إيصالها إلى مختلف البلاد العربية والأفريقية والأوربية. بالإضافة إلى إدارته لمجموعة من المؤسسات الهامة فيما يتعلق بالحوزة وأمور الخطابة والمنبر.

وحمل معه رسالة التبليغ والإرشاد إلى أقطار العالم في باكستان والهند وإندونيسيا وأستراليا ومصر والمغرب وتونس والبحرين والسعودية والكويت وسوريا ولبنان واستطاع أيضاً أن يؤسس حلقات التبليغ عبر زيارته تلك حيث أسس مسجداً في أستراليا بتوفيق من الله سبحانه وتعالى وساهم في مشاريع أخرى في عدد من البلدان.

وقد سبق ذلك نشاطاته الرسالية في الكويت حيث اتخذ مسجد الإمام الحسين المعروف في الكويت (بمسجد ابن نخي) مركزاً للعمل وشؤون التبليغ والإرشاد الديني حيث تقام صلاة الجماعة ومجالس التفسير والوعظ وتعدّ المجالس الحسينية بالإضافة إلى إحياء النشاطات التي تعني بمحافل أهل البيت (عليهم السلام).

وفاته

في عصر الخميس من شهر جمادى الثاني كان السيد القزويني قد لبى نداء ربه حيث فارق في هذا اليوم حفيد من أحفاد مدرسة الإمامة بعد مسيرة حافلة بالبر والتقوى، لتشيّع الآلاف بدموع الحسرات والبكاء حيث مثواه الأخير. فتليت القصائد على روحه تأبيناً ورثاءً، وهاهو ابن عمه السيد مرتضى القزويني جاء ناعياً هذه الأبيات:

وخليلي من سالفات العهود
غبت عني وصرت رهن اللهود
غير أن نلتقي بدار الخلود
نطلب العلم كل يوم جديد
نتسلى فيها بحفظ القصيد

وحنت إلى تلك الدموع المهاجر
لمثلك من يروي ظماها النواظر
فقد كنت تجلوها فتخلو المناظر
سواعد تحمي الدين أنى تعاصر

يا بن عمي ويا أخي وعضدي
يا رفيق الصبا وألف شبابي
لك في القلب حسرة لا تداوى
كم قضينا معاً زماناً طويلاً
ساعة تقرأ الدروس وأخرى

أما السيد رضا القزويني فقد نعا بهذه الأبيات:
بكت حينما اشتاقت إليه المنابر
ومرّ بها عام من الجذب لم تجد
وظافت بسوح الآل بعدك ظلمة
وعشت غريباً في الديار مشمرّاً

فرحم الله خطيب المنبر الحسيني الذي قضى حياته في إحياء المجلس الحسيني بالعبرة والعبرة والعظة والإرشاد.

قراءة في كتاب

قراءة في كتاب ولأول مرة في تاريخ العالم

لـ(سماحة آية الله العظمى الإمام السيد الشيرازي دام ظله)

محمد خالد

الأحداث التي هزت العالم لا تعد ولا تحصى والخلافات والصراعات بين أنباء الأمة الإسلامية لم تكن تجري بأقل ما كانت عليه يوم ابتدأت فصول تلك المسيرة، إلا أن المبدأ هذه المرة رسالة سماوية أراد الله لها أن ترتقي لتغدو بطاقة عهد جديدة تحمل معها أنوار المستقبل المعني بروح العصر المحمدي الذي تمازج بكلمة الخالق ليردد معه تلك الصلة الأثيرية فيخرج الناس من الظلمات إلى النور. لذا كان هبوط الوحي وثبة وشهادة لذلك الاختيار الإلهي الذي لا يقبل الشك والمجادلة فجاء الإسلام رسالة وأمانة لا يقدر عليها إلا من أتى الله بقلب سليم.. فأطل ذلك الأمر حاملاً معه النداء عن كلام الخالق سبحانه وتعالى وكانت الردة السفينانية آنذاك تحمل بين أنيابها روح الضلالة والانحراف، أما المسيرة النبوية فقد اتخذت نمطاً جديداً لم يألفه الآخرون من قبل لأنه لم يكن طيشاً من أجل المنصب أو الزعامة بل هو إخبار سماوي وتنزيل يحمل معه لغة جديدة لتقرير المصير وإنقاذ الأمة من براثن الجهل والتخلف، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعيش مع الناس، يخاطبهم يتحدث فيهم بدستور السماء ولغة الخالق. على ضوء تلك المعطيات والمرتكزات التاريخية التي مهدت لعصر جديد استوعبت معها تناقضات الأمة وأزماتها المتداخلة بفعل عصر التحول، وبهذا يتساءل المجدد والمجاهد الكبير سماحة آية الله العظمى الإمام الشيرازي دام ظله عن تلك الأزمات التي أحاطت بالأمة لتستنزف كل قواها بعد أكبر فجيرة للأرض يوم انتقال النبي (صلى الله عليه وآله) إلى مثواه الأخير وبعد الصراعات التي دبّت في صفوف المسلمين فكيف لنا استعادة دورنا من جديد. بأفكار الأمة الواحدة وقوانين الإسلام المذكورة في الكتاب والسنة؟ بهذه المقدمات يطالعنا الإمام الشيرازي دام ظله محلاً مسيرة الأمة من جديد مع كتابه (ولأول مرة في تاريخ العالم) ذلك المجلد الذي يحوي بين طياته روح التجديد من خلال تتبع سير الإسلام منذ نشأته الأولى لي طرح أمام العالم. ذلك البديل الحضاري الذي يدعو الأمم إلى عصر السلام والحرية والأمن والاستقرار. ولكن كيف ينهض العالم من سباته؟

هذا ما يتضح بعد الإحاطة بفصول المؤلف الذي يتكون من مجلدين يبتدئ بالنشأة قبل البعثة وينتهي إلى حيث يرد انتصار ابن جابر الفهري على أولئك اللصوص والقتلة بينما يبتدأ المجلد الثاني بتلك المعارك التي كان يخوضها رسول الله (صلى الله عليه وآله) دفاعاً على طريق الفتح وينتهي في توديع الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى حيث مثواه الأخير. المؤلف بـ ٥٤٧ ص من القطع الكبير. يضم المجلد الأول مواضيع متعددة منها

فصل في المبعث الشريف، الهجرة إلى الحبشة وفصل في الهجرة النبوية المباركة، وفصل في المعارك التي خاضها (صلى الله عليه وآله) وسراياه دفاعاً ضد جيش الكفر والنفاق.

أما مسألة المبعث، فأفرد لها فصلاً يعدّ برهاناً مركزاً حول بداية الدعوة المحمدية كيف ابتدأت وبماذا المنهج هنا يشترك بذات اليقين الرسالي على لسان سماحته الذي يصف فيه نزول الوحي على الرسول كما جاء (وقيل أنه أول ما بدأ به رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح حيث حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء ليتعبد فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة (عليها السلام) فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق في السابع والعشرين من شهر رجب الحرام وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال له: اقرأ! (ومضى (صلى الله عليه وآله) على أمر الله مظهرًا لأمره لا يردّه عنه شيء) (ص ٥٣ - ص ٦٢).

لقد كانت التفاصيل كثيرة لا تدرجها تلك الصفحات لكن الرسول (صلى الله عليه وآله) يتابع وبكل دقة ما تقتضيه ضرورة العمل الرسالي فلم يكتفِ لمنطق الجاهلين لذا يشتد البلاء عليه مع أصحابه لكن موقفه (صلى الله عليه وآله) يتزايد ويقوى فيشتد أذى قريش عليه (صلى الله عليه وآله) لذا يستعرض سماحته في هذا المورد بما حلّ به (صلى الله عليه وآله) فيقول: (وبموت أبي طالب اشتد البلاء على رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قومه وتجروا عليه وكشفوه بالأذى الشديد وأرادوا قتله إلا أن الله منعهم منه وجرّعه غصصاً كثيرة) (ص ٧٨).

لكن النهوض بالأمة لا يقتصر على ذكر الأخطار المحدقة بها دون رد فعل - وكذلك لا يستوفي الحديث شروطه دون التحدث عن تاريخ الأمة الحضاري وعوامل النهوض.

لذا لكي يأخذ موعد النهضة طريقه للتحدي يأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه بالهجرة - كما ورد في فصل الهجرة النبوية المباركة.

(ثم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، والحق بإخوانهم من الأنصار وقال (صلى الله عليه وآله) (إن الله جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها، فخرجوا إرسالاً وأقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة). (ص ١٣٥)

وتمضي السنون على سعي الأمة للنهوض فيصبح عليها أن تحدد المشكلة الرئيسية في الأمة لتخليصها من براثن الجهل والهلاك، لذا يطالعنا سماحته بالسبل التي اتبعها الرسول (صلى الله عليه وآله) مع الآخرين كما ورد في ص ١٥٦ لغاية ص ١٨٥.

وجاء في مورد المواخاة (ثم آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار من أصحابه وكانوا تسعين رجلاً وقيل ثلاثمائة رجل نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار آخى بينهم على الحق والمساواة) (ص ١٥٦).

وتذهب اليهود لتأجيج العداوات مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) (بغياً وحسداً وضغناً لما خصّ الله به العرب من النبوة) (ص ١٧٢) إشارة لعداوة اليهود للعرب.

لكن الرسالة الجهادية للنهضة المحمدية وعملية التغيير تتطلب عقلاً خاصاً يستتبعه اختيار الطريق الأمثل والوسائل المتاحة لهذا التغيير فماذا يعمل رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

في الفصل الخامس من المجلد الأول يطالعنا سماحته (دام ظله) بذلك المنهج المتكامل للرسول (صلى الله عليه وآله) وهو يقف أمام التحدي الكبير لانتشال الأمة من السقوط، وفي المدينة بعد أن يستقر (صلى الله عليه وآله) ويؤيده الله بنصره تتشكل أول سرية في الإسلام يعقد اللواء فيها لعمه حمزة بن عبد المطلب ويؤمره على ثلاثين رجلاً من المهاجرين ممن تحملوا الأذى والتعذيب القاسي من مشركي مكة... (ص ١٩٣).

وهكذا حتى شكل باقي السرايا وتدور المعارك مع جيوش الكفر والضلالة. إذ أن الإصلاح لا يتم إلا بهدم مراكز الفساد والانحراف. (ص ٢٠٩)

و(في صبيحة اليوم السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة النبوية المباركة انحدر المشركون من وراء الكتيب إلى وادي بدر فلما رأهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينحدرون من وراء الكتيب الذي جاءوا منه إلى الوادي رفع يديه بالدعاء وقال

(اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها... اللهم فنصرك الذي وعدتني به...).

وحقق الله له ما أراد وانهزم المشركون. (ص ٢١٠).

ومن خلال استعراض الوقائع والمعارك يضع سماحته (دام ظله) بطريقة إحاطة القارئ، العوامل الكفيلة بدفع الأدلة للنهوض من خلال التوجه إلى البثور الفاسدة وردمها بعد التوجه العميق والثقة بالقيادة الميدانية والسياسية من خلال استيعاب رسالتها بكل ما تحمله من أبعاد للانطلاق إلى ساحة الجهاد، بالإضافة إلى شروط القائد الرسالي وما يقع على عاتقه من مهام صعبة في قيادة الأمة. ويرسم لنا سماحته طرق تعامل الرسول (صلى الله عليه وآله) مع جيشه في التشاور معهم والتعاون والصبر، وبعبكس جيش الشرك والضلالة.

وفي المجلد الثاني يحلل سماحته تلك المعارك التي كانت على طريق الفتح وهو يرسم لنا شروط التحرك ومساراته المتعاقبة.. حتى ينتهي (صلى الله عليه وآله) إلى مكة وفي هذا المورد يذكر لنا الإمام دام ظله كيف أن الرسول قام بتطهير البيت من الأصنام كما ورد في قوله تعالى: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) (إسراء، ٨١). (ص ٧٩) ويرد خطاب الرسول (صلى الله عليه وآله) في الناس حيث بث روح المساواة والأخوة ما عبر عنه سماحته بـ(لائحة حقوق الإنسان) حيث قال (صلى الله عليه وآله) في نهاية حديثه (ألا إنكم من آدم وآدم من طين).

وقد اختص هذا الفصل بحركة الرسول (صلى الله عليه وآله) وتلك المعارك الدفاعية التي دارت مع جيش الكفار بعد الفتح والسور القرآنية التي نزلت آنذاك مثل سورة براءة التي نزلت في السنة التاسعة من الهجرة النبوية المباركة. (ص ١٧٦)

ثم يستعرض لنا سماحته بتحليل ومقارنة حركات الوفود والرسول بعد النهضة المحمدية المباركة، ونشاطات الرسول (صلى الله عليه وآله) ومكاتباته مع الملوك والرؤساء من صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة النبوية المباركة حتى ارتحاله (صلى الله عليه وآله). (ص ١٩٥) إشارة إلى منطق الرسول (صلى الله عليه وآله) في المنهج والاستراتيجية السياسية ويستمر سماحته مستعرضاً تفاصيل الموقف بقوله:

وتوالت الوفود عليه (صلى الله عليه وآله) يسألونه عن القرآن والسنن فكان منهم وفد طارق ووفد نجيب ووفد بني سعد ووفد بني أسد ووفد بني فزارة جاءوا إليه مقرّين بالإسلام. وهذا تبين لتأثير الرسالة المحمدية في الموقف العام بين الناس آنذاك.

(إلى غير ذلك من وفد المدينة وتشرف باللقاء معه). (ص ١٩٦ - ص ٢٥٥)

وهكذا حتى جاء اليوم الذي يتجهز فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) للحج ويأمر الناس بالجهاز له وكان الحج فريضة أمر الله بها عباده. كما في قوله تعالى (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ). (ص ٢٣٠)

وكانت السنن حيث اغتسل (صلى الله عليه وآله) واحرم وصلى ركعتين خلف مقام إبراهيم فلما كان يوم التروية ثامن ذي الحجة عند زوال الشمس أمر الناس أن يغتسلوا ويهلوا بالحج أي يقولوا التلبية. (ص ٢٢٩ - ٢٤٢)

وهكذا استمدت الشريعة الإسلامية عظمتها وأصالتها من العناية الإلهية فتشربت بروح الوحي السماوي لتتدرج قوماً ما اتبعوا، وتجمع أمر الله خوفاً من التفريق والخذلات..

فقال تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) (إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) و(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وجمع القرآن في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليبقى إلى يومنا هذا كما هو عليه. (راجع ص ٢٤٥)

وما أن انتهى الرسول (صلى الله عليه وآله) من تلك المهمة حتى جاء اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ليتوجه إلى غدير خم حيث نزل عليه الأمين جبرئيل عن الله بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (ص ٢٥٣) ولما نزل (صلى الله عليه وآله) وقت الظهيرة وصلى ركعتين فكان القرآن يبارك خلافة علي (عليه السلام) فقال (صلى الله عليه وآله):

الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة ورضا الرب سبحانه وتعالى برسالتني اليكم والولاية لعلي بن أبي طالب من بعدي.

فكانت وديعته (صلى الله عليه وآله) الثقلان أي كتاب الله وعترته الطاهرة وهي من الوصايا الأخيرة له (صلى الله عليه وآله) (ص ٢٦٧).. حتى تأتي اللحظة التي يفارق الإسلام نوره الوضاء، رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ليقص لنا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حكاية جبرئيل وكتاب الوصية جاء فيه: دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند ارتحاله من هذه الدنيا وأخرج من كان عنده في البيت غيري والبيت فيه جبرئيل والملائكة معه فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتاب الوصية من يد جبرئيل مختومة فدفعها إليّ وأمرني أن أفضها ففعلت وأمرني أن أقرأها فقرأتها فإذا فيها كل ما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوصيني به شيئاً ما تغادر حرفاً.. (راجع النبي (صلى الله عليه وآله) وساعة الوداع ص ٢٩٠)

وفي صباح الاثنين ليلتين بقيتا من شهر صفر سنة ١١ من الهجرة النبوية المباركة يغادر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الملك الأعلى وعمره ٦٣ سنة. (ص ٢٩٧ على مشارف الآخرة)

في نهاية المؤلف يتناول سماحة الإمام إشارات لا يمكن التغاضي عنها وردت على لسانه (صلى الله عليه وآله) كما في:

المعصوم لا يليه إلا معصوم

إذ قال ابن مسعود قلت للنبي (صلى الله عليه وآله) وهو في شكاته يا رسول الله من يغسلك إذا حدث بك
حادث.

قال (صلى الله عليه وآله) يغسل كل نبي وصيه أي علي (عليه السلام). (ص ٣٠٣)
وفي خاتمة الكتاب يجري التساؤل على لسان سماحته أيضاً هل يمكن إعادة دور المسلمين حتى يأخذوا
بأزمة العالم مرة ثانية؟

الإمام الشيرازي (دام ظله) في مؤلفه هذا يدعو إلى الالتزام المشروط بالإسلام وتعاليمه السامية فلا نجاة إلا
بالتوحد والعمل الخالص فحين يعم الوعي بلا نزاع أو فرقة تصبح عملية العودة إلى قوانين الإسلام الواردة في
الكتاب والسنة، أمراً لا بد منه وهذا يستدعي رجوع الإسلام إلى زمام القيادة الموحدة كما قال سبحانه وتعالى:
(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) والعمل والاستفادة من تلك الأحكام التي علمنا إياها رسول الله (صلى الله
عليه وآله). (ص ٣١١)

جولة الكلمة

موقع الأربعة عشر معصوماً.. مشعل هداية إلى العالم

التأسيس

بدأ موقع الأربعة عشر معصوماً (www.masom.com) بالعمل مع انطلاقة ذكرى عاشوراء للعام ١٤٢٢ هـ لما لهذا الشهر من أهمية خاصة تتعلق بإحياء مجالس أهل البيت (عليهم السلام) بما تمثله من قيم ومبادئ سامية ومن هذا المنطلق كانت بداية العمل في الموقع وبأن ذلك الجهد بعد ٨ أشهر من العمل في التحرير والتصميم الفني بالكلمة الحية النابضة في نداء الضمير كلمة مسؤولة عن استعادة نهضة القيم الحية والدور الذي جسده ذلك المنهج الذي استيقظ في حظيرة الوعي العام للمسلمين في عصر سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) لملازمة الدستور الأعلى، كلمة الله التي جسدها العترة الطاهرة في مسيرتها الحقة لتصبح المدرسة الشامخة للأخلاق والقيم.

الهدف من إنشاء الموقع

لا شك أن التعريف بحياة أهل البيت ودورهم يعد مسؤولية لا يمكن إغفالها أو التغاضي عنها لأن كلامهم ومنهجهم ترجمة للضمير ورسالة للعقل ووجدان حي يسعى لاستيعاب هموم ومآسي الأمة الإسلامية ويجسد مسيرتهم في أقاصي الأمم وفي كل المجالات والعصور، وبعد أن غابت هذه الرسالة الخالدة رسالة أهل البيت هنا وهناك بفعل الثغرات الحاصلة في تدوين التاريخ ونظراً لما جسده هذه الرسالة في خضم مسيرتها الصعبة ضد الأعداء أصبح إنشاء الموقع ضرورة لا بد منها لأداء واجباً رسالياً يتعلق بتلك الأنوار المضيئة التي تعرضت للقتل والطعن وسفك الدماء بعد أن بذلوا مهجهم لبني البشر فعلاً وقولاً. هكذا هي مسيرة الأئمة مسيرة تختلف عن أية مسيرة أخرى في العالم لأنها تتعلق بأمر الرسالة التي استلموها من صاحبها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله).

المعصوم رسالة ومنصب إلهي منصوب عليه لا مجال للتغاضي عن ذكره من هنا كان موقع الـ ١٤ معصوم.

من جهة أخرى فإن التعريف بذلك يحتاج إلى فضائية أو شبكة تلفزة تستوعب تلك الرسالة الممتدة لرسالة محمد (صلى الله عليه وآله) ولكن ولعدم وجود فضائية كان لا بد لهذا الموقع من نشر رسالة الإسلام على شبكات الإنترنت وإيصالها إلى العالم كله كأمانة أَرادها الله سبحانه وتعالى.

أبواب الموقع

تتناول أبواب الموقع حياة كل معصوم ابتداءً من عصر الرسالة المحمدية وانتهاءً بعصر الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه) من هنا كانت منهجية العمل بذلك تتطلب قاعدة عامة للإمام بشروط الحاجة الفعلية لذلك وهذه الحاجة رسالة موجهة إلى العالم لحمل كلمة تحمل معها أنوار ذلك الإرشاد الإيماني الذي يعمل بمقتضى ما أراده الله سبحانه وتعالى من أجل تحقيق حياة حرة كريمة تحتاجها شعوب العالم أجمع في مسيرتها. وبهذا ارتأى الموقع أن متطلبات العمل تقتضي نشر تلك الرسالة باللغة الإنكليزية والفرنسية والأسبانية والفارسية كمرحلة ثانية كضرورة تتوافق مع العصر الحضاري الجديد.

وقد تم اختيار اللغة الإنكليزية بعد العربية كمرحلة رئيسية للغات الأخرى ذلك لكثرة المشتركين بمواقع الإنترنت ولانتشار هذه اللغة كونها لغة عالمية.

الأبواب الثانوية للموقع

للموقع أبواب أخرى تتخذ استكمالاً لمنهجه الثابت في العمل وقد ارتأينا معرفة تلك الأبواب فكان هنالك وجهات نظر تتعلق بتتمة الحاجة إلى الموقع من خلال هذه الإلتزامات.

١ - لقاء الشهر وهي مع شخصيات تتحدث عن أهل البيت وجرى لقاء مع الكاتبين المعروفين جورج جرداق وانطوان بارا حول تحدث فيها هذان العلمان الكبار عن مكانة أهل البيت (عليهم السلام) في تاريخ البشري.

٢ - (وجهة نظر) وتتعلق بمسألة الأعمال الأدبية المشهورة التي تتناول الصفحات الخالدة من تاريخ تلك الصفحات المتألقة بمسيرة أولئك العظام الذين جسدوا مسيرة الإسلام ومتابعة أهم وأشهر الأعمال الأدبية التي تناولت ذلك أو أي رأي يطرح فيما يخص مسألة أهل البيت (عليهم السلام).

٣ - (خبر وتعليق) وتدور فكرتها حول مناقشة مسألة معينة، تدور حول موضوع العقائد الإسلامية والمنهجية الثابتة لرسالة أهل البيت (عليهم السلام)

٤ - مجلة الموقع، من نشاطات الموقع الأخرى إصدار مجلته التي أطلق عليها (أعلام التقى) صدر منها ستة أعداد عديدين منها عن الصديقة الزهراء وعديدين آخرين بعنوان الصادق الأمين وعدد عن الوصي المرتضى. وعدد عن عيد الغدير وعدد بعنوان ثار الله وسيتناول العدد القادم منهج الإمام الصادق (عليه السلام) مع شخصيته وسيرته.

٥ - أخبار الشيعة في العالم

الباب الخامس من أبواب الموقع وهو يتعلق بمسألة الارتباط بالمراكز الشيعية في العالم لذا يكتسب الموقع أهمية أخرى من ناحية ميدانية بارزة كونه الموقع العربي الوحيد الذي ينقل أخبار الشيعة في العالم بعد موقع (الخوجة).

٦ - ومن النشاطات الأخرى للموقع

استضافة ندوات والمؤتمرات التي تعقد في عدد من المدن والعواصم التي تتواجد فيها جاليات مسلمة شيعية، ولا ننسى أن الموقع هو أحد أعضاء مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام. ويشترك الموقع في باب (العقائد) على ساحة الحوار التابعة للمؤسسة.

استراحة العدد

من وحي المعصومين

النبي (صلى الله عليه وآله) والآباء

مر النبي (صلى الله عليه وآله) ذات يوم بأحد الأزقة، حيث كان عدد من الأطفال يلعبون، فأراد النبي (صلى الله عليه وآله) أن يوجه عناية الآباء بأبنائهم ودورهم الأساسي في تربيتهم ونموهم ورشدهم، فقال: (ويل لأبناء آخر الزمان من عمل آبائهم).

فظن أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) أنه يعني أبناء المشركين.

فسألوه: يا رسول الله هل تعني المشركين؟

فقال: (لا، بل أعني الآباء المسلمين الذين لا يعلمون أبنائهم شيئاً من الفرائض الدينية فإن آبائهم يصدونهم عن أداء واجبهم).

علي (عليه السلام) يحث على الصداقة

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أعجز الناس من عجز عن اكتساب الأخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم).

الإمام زين العابدين (عليه السلام) وعياله

عن أبي حمزة قال: قال علي بن الحسين (عليه السلام): (لأن أدخل السوق ومعني دراهم أبتاع بها لعيالي لحماً وقد مرقوا (شدة الشهوة إلى اللحم) إليه، أحب إلي من أن أعتق نسمة).

حلم الإمام الحسن (عليه السلام)

عن جويرية بن أسماء قال: لما مات الحسن (عليه السلام) أخرجوا جنازته، فحمل مروان بن الحكم سريره: فقال له الحسن (عليه السلام):

(تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرّعه الغيظ).

قال مروان: نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال.

طرائف

انتحار جحا

رأى الناس جحا واقفاً على رأسه ورجلاه مربوطتان إلى الأعلى، فسأله أحدهم: ما بك يا جحا؟ فقال: أريد أن انتحر. فقال له الرجل: إذا أردت أن تنتحر اربط الحبل في رقبتك لا في رجلك. فأجاب جحا: فعلت ذلك فأوجعتني رقبتي.

لم ينجح في الامتحان

سئل أعرابي: هل نجح ابنك في الامتحان؟ فقال: كلا. فقيل له: ولماذا لم ينجح؟ فقال لأنهم سألوه عن أشياء حدثت قبل ولادته.

مفرد ومثنى

قيل أن معلماً سأل تلميذه: السروال مثنى أم جمع؟ فأجابه التلميذ: يا أستاذ السروال مفرد من الأعلى ومثنى من الأسفل!!

تنظيف الطاولات

خطب شاب إحدى الفتيات، وعندما قدموا إليهم الحلويات والفواكه، التهم الشاب كل ما على الطاولة من الطعام، فقال له والد الفتاة: ما العمل الذي تجيده غير تنظيف الطاولات.

كومبيوتر و إنترنت

علموا أولادكم الكومبيوتر..

أكدت دراسة بريطانية أن الأولاد الذين يحبون أن يقضوا أوقاتهم وهم يشغلون الكمبيوتر أكثر ذكاء من الآخرين، وأنهم مؤهلون لمستقبل مهني ناجح جداً. وقد تناولت الدراسة، كما جاء في صحيفة التايمز البريطانية، ١٢٧ شخصاً، بينهم ٦٣ طفلاً، وتوصل معدوها إلى هذا الاستنتاج بعد مقارنات عدة، ومتابعة بعض الأشخاص نحو خمس سنوات، بينت تميز المتعلقين بالكمبيوتر في دراستهم المدرسية والجامعية، وتوليهم مراكز مهمة في أعمالهم. وقللت الدراسة من مخاوف الارتباط، مؤكدة أنه غير ضار، نافية علاقته بين عنف الأولاد والإكثار من ممارسة ألعاب إلكترونية ذات مضمون عنيف.

آلة تصوير ذكية

طور علماء أميركيون آلة تصوير مبتكرة بتقنيات الشبكة العصبية الصناعية تحاكي في عملها دماغ الإنسان، لا تتعرف على ملامح شكل الهدف المطلوب تصويره فحسب بل على نغمات الأصوات الصادرة عنه ويمكن توظيف هذه الآلة كخفير آلي ذكي في النظم العسكرية لرصد أية أهداف.

وطور الآلة باحثون في جامعة ايلينوي الأميركية، بهدف تأكيد إمكانات صنع شبكات عصبية يمكنها محاكاة الدماغ، تتمكن من التكيف مع الأوضاع الخارجية ويعتمد مبدأ عملها على نموذج لعمل منطقة من الدماغ مسؤولة عن تجديد وجهة استدارة رأس الإنسان لدى الاستجابة إلى محفزات لأحاسيس خارجية.

وتبحث آلة التصوير عن الحركة، بعد مقارنتها لملامح لقطات فيديو مصورة، ولأصوات استقبلتها في نفس الوقت، عبر لاقطتين تلحقان بها وتوظف الآلة هذه الإشارات لضبط عدساتها وتوجيهها نحو الهدف المطلوب تصويره.

ونقلت وكالة (يو بي أي) عن سيلفيان راي، البروفيسور في علوم الكمبيوتر في جامعة إيل، أن الآلة يمكن أن تتنبه إلى واحدة من الإشارات البصرية أو السمعية إلا أن خلط الإشارات السمعية والبصرية معاً يمثل حافزاً أقوى لعلمها.

الروس يربون طفلاً إلكترونياً

نجح باحثون روس في صنع أول دماغ صناعي أو كمبيوتر عصبي لديه نفس قدرات الدماغ البشري الفكرية.

وقال الباحث فيتالي فالتسيف: إن جهاز الكمبيوتر العصبي هذا يستعين بآخر الاكتشافات في مجال الجهاز العصبي لإنتاج آلة تفكير حقيقية، موضحاً أن النجاح الذي حققه فريقه يعود لاستخدام الخلايا العصبية للدماغ كنموذج.

وأضاف فالتسيف وهو عضو في الأكاديمية الدولية لعلوم المعلوماتية أن المحاولات السابقة لخلق ذكاء صناعي باءت بالفشل لأنها ارتكزت على نموذج من الخلايا العصبية للنخاع الشوكي وضع في الأربعينات من القرن العشرين.

وحذر الباحث الروسي من مخاطر سوء استخدام هذا الاكتشاف الجديد مضيفاً أنه يجب تعليم هذه الآلة مثلما يتم تعليم طفل رضيع، ومن المهم أن نجعل منها صديقاً وليس مجرماً أو عوداً.

أرقام

أرقام إنترنتية

٦٧% من الأمريكيين يستخدمون الإنترنت

إعلانات فرنسا تتفق مليار فرنك على الإنترنت

٠,٧ من العرب يستخدمون الإنترنت

١,٧ مليار دولار موقع طبي على الإنترنت

أرقام متضاربة

٤٧٦ مليار دولار سياحة العالم
١٤,٦ مليار دولار إنفاق الحجاج
الكويتي أكثر سائحي العالم إنفاقاً
أميركا تستقطب ٧٥ مليار دولار من أموال المتفرجين على الدنيا
٢,٢ مليار دولار أميركي حجم الإنفاق الإعلاني في الدول العربية

الأمية ظاهرة متفاقمة في الوطن العربي

٦٩ مليون أمي في عالم ٢٠٠٥ ونصف القوى الحية معطلة
٦,٧ ملايين طفل عربي يعملون بقسوة
أمية النساء في الأردن ٣٠%
١٠٠ مليار دولار دخل العصابات العالمية
الشعب الفرنسي في طريقه إلى الشيخوخة والنقصان بدءاً من ٢٠٤٠
١٤ مليون عاطل عن العمل في الوطن العربي
إصابات سرطان الجلد تتضاعف بين الألمان كل (١٠) سنوات.
٢١٠ آلاف عربي يملكون ٨٠٠ مليوناً
٤٢% من الأسبان لم يقرأوا كتاباً عام ٢٠٠٠ والنساء يقرأن أكثر من الرجال.
٧ مليارات دولار حجم تجارة الرقيق في الولايات.
إجمالي قيمة السندات التي أصدرتها الشركات العربية حتى ١٩٩٩: ٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار
قيمة الأسهم العربية في السوق: ١٧٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار
إجمالي السندات الحكومية في الدول العربية، حتى سنة ١٩٩٩: ٧٨,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار
قيمة الصادرات العربية للسوق الأمريكية في الأشهر العشرة الأولى من ١٩٩٩: ٢٤,٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار
قيمة الواردات العربية من أمريكا في الفترة نفسها: ١٣,٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار.
إجمالي واردات الدول العربية من القمح والحنطة والشعير، من أمريكا ١٩٩٩: ١٤,٠٠٠,٠٠٠ طن متري
قيمتها: ١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولاراً

طب وغذاء

مليوناً مريض بالسل يموتون سنوياً

أوضح تقرير لمنظمة الصحة العالمية حول أمراض الدرن (السل) نشر أخيراً بأن نحو مليوني مريض بالدرن

يفقدون حياتهم سنوياً.

وأوضح التقرير أن العدوى من الدرن قد تنتشر بشكل موسع ولكن حالات الشفاء تتم إذا ما تمّ تقويض الإصابة سريعاً.

واجتاح مرض السلّ أوروبا خلال القرنين الماضيين إلى حين اكتشاف المصل المعروف (بي. سي. جي) بواسطة (كالمبيت دجرين).

وأدى ظهور المضادات الحيوية المضادة للسل بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بالإضافة إلى الاهتمام الدقيق بالرعاية الضدية إلى تراجع المرض والإصابة في الدول الكبرى الصناعية.

وظهرت الإصابات الحالية في السجون والمعتقلات وبعض بلدان آسيا وأفريقيا بسبب عدم ترشيد استخدام المضادات الحيوية، ويتوقع أن تصل أعداد الإصابات في عام ٢٠٠٥ إلى ١٠/٢ ملايين حالة مع وفاة مليوني حالة سنوياً.

وأوضح تقرير منظمة الصحة العالمية أن الدرن قد انتشر في أفريقيا بسبب انتشار الإيدز على الرغم من السيطرة عليه في مناطق أخرى من العالم.

الأسماك.. لمحاربة الأمراض

من الحكمة تناول الأسماك خاصة السلمون والسردين والمحار البحرية والتونا وغيرها مرتين أو ثلاث مرات على الأقل في الأسبوع. ويساعد تناول الأسماك على منع ومحاربة الإصابة بعدة أمراض منها:

- ١- أمراض القلب: ويمنع الإصابة بالجلطة الدموية بمعدل ١/٣.
- ٢- الروماتيزم: يساعد تناول الأسماك على تخفيف آلام المفاصل والتعب.
- ٣- انسداد الشرايين: يساعد زيت السمك على فتح الشرايين وإبقائها نظيفة. كما أنه يخفف إعادة انسداد الشرايين بعد إجراء عملية بمعدل ٤٠ إلى ٥٠%.
- ٤- ارتفاع ضغط الدم: إن زيت السمك أنفع من كثير من الأدوية التي تساعد على خفض ضغط الدم.
- ٥- التهابات الأمعاء الغليظة: برهنت الدراسات أن زيت السمك يساعد على تخفيض هذه الالتهابات والقروح بمعدل ٥٦% إذا تناول الشخص حوالي ٤,٥ جرام من زيت السمك يومياً.
- ٦- الربو: يخفف زيت السمك عوارض ومشاكل هذا المرض لدى بعض الأشخاص.
- ٧- داء الشقيقة (Migraine)، يعتبر زيت السمك من معالجي داء الشقيقة لدى بعض الأشخاص.

الثلج والنعناع علاج للصداع

أشار الاتحاد الألماني لأطباء العلاج الطبيعي إلى أنه من الممكن علاج الصداع بمكعبات الثلج أو بزيت النعناع التي تؤتي نفس نتيجة المسكنات.

وقال الخبراء أن الثلج يجب أن يلف في قطعة قماش رقيقة وأن يستخدم في الضغط برفق على الأماكن التي يشعر فيها المرء بالصداع.

كما توصي دراسة لعيادة ألمانية متخصصة في علاج الصداع بتدليك المنطقة المصابة بمحلول زيت النعناع

تركيزه ١%.

إلا أن الخبراء أضافوا أن استمرار الصداع لأكثر من عشرة أيام شهرياً على مدى أكثر من شهرين يعني ضرورة استشارة طبيب.

(أنسولين) للسمنة

اختبر علاج جديد ضد السمنة المفرطة بنجاح على فئران حسب ما أعلنت مجموعة (جينست) الفرنسية التي تعد الدواء الجديد.

فياغرا أكثر فاعلية وبلا تأثيرات جانبية

تمكن بديل لعقار الفياغرا يدعى (فاردنافل) أنتجته شركة (باير) من تحسين نسبة الانتصاب الجنسي لدى ٨٠ % من المصابين بالقصور الجنسي من دون أن يعانون من التأثيرات الجانبية المصاحبة عادة لعقار الفياغرا. فقد وجد أن ثلاثة أرباع من المصابين بالقصور الذين تناولوا جرعات تبلغ ٢٠ ملغ باتوا قادرين على إنجاز علاقة جنسية كاملة بعد دراسة استغرقت ثلاثة أشهر. وبين البحث أن العقار الجديد هذا لا يسبب أي تأثيرات مضرة على القلب والشرابين.

ومنذ إطلاق الفياغرا في المملكة المتحدة عام ١٩٩٨ وردت تقارير عن وفاة ٦٠ شخصاً بسبب مشكلات قلبية عقب تناولهم الفياغرا. ومن المتوقع أن تطرح باير العقار في السوق العام المقبل.

طريقة لمحاربة الشيخوخة

أعلن باحثون في جامعة نيوكاسل البريطانية عن اكتشاف طريقة لتحسين قدرة الجسم البشري على تفادي أمراض الهرم والشيخوخة. فقد وجدوا أن زيادة مستويات نوع من البروتينات يرمز لها (بارب ١ - PARP١) في الجسم الحي يطيل عمر الخلايا ويجنبها التلف.

ويقوم هذا البروتين بإصلاح أي خلل يصيب الحامض النووي (دي أن أي) الذي يحمل الخصائص الوراثية لكل إنسان. وتظهر أعراض الهرم كما يعتقد العلماء، بسبب هذا الخلل. واكتشف فريق البحث أن اختلاف أنواع بروتين (بارب ١) بين فصائل الحيوانات يعكس اختلاف متوسطات أعمارها، حيث تكون فعالة لدى الحيوانات التي يزداد لديها متوسط العمر، بينما لا تكون فعالة لدى الأنواع التي يقل لديها متوسط العمر.

فيتامين C يخفض معدل الوفيات

أعلن باحثون بريطانيون أنه إذا أراد شخص تقليل مخاطر الوفاة بأمراض القلب أو أمراض مزمنة أخرى فإن عليه أن يكثر من تناول الخضراوات والفاكهة.

وبالإضافة إلى ممارسة التمرينات الرياضية واتباع نظام غذائي صحي والابتعاد عن التدخين وعدم تناول المشروبات الكحولية.

وقال باحثون بريطانيون: إن الإكثار من تناول الخضراوات والفاكهة المحتوية على نسبة عالية من فيتامين ج (G) قد يساعد أيضاً.
والاستخدام الشائع لفيتامين ج (G) (الحمض الأسكوربي) هو تقوية جهاز المناعة لتفادي نزلات البرد والأنفلونزا.